التحليل النفسى لظاهرة الإلحاد

تاليف

الدكتور

إبراهيم عبد الشافى إبراهيم

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بالقاهرة ـ جامعة الأزهر

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على إمام النبيين وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعد :

فمما لا شك فيه أن قضية الإيمان هى كبرى القضايا التى تشغل أذهان العلماء والمفكرين، بل لا نبالغ إذا قلنا أنها قضية مصير الإنسان، ذلك أنها إما سعادة الإنسان أو شقاؤه .

إن الإنسان بدون هذا الإيمان كالريشة التى تذروها الرياح فلا تستقر على حال، ولا تسكن إلى قرار، ولا يعرف لها اتجاه .

إن الإنسان بدون هذا الإيمان حائر، تائه، لا يعرف من أوجده؟ ولماذا أوجده؟ ولماذا يميته بعد ذلك؟ والإنسان بغير الإيمان حيوان شرس، لا هم له إلا بطنه وجيبه، وإشباع رغباته، فلا وجدان ولا شعور ولا قيم، ولا خلق .

والعاقل حين ينظر إلى هذا العصر يجد أن جذوة الإيمان قد فقدت حرارتها وتوهجها وقد خفت صوته لدى كثير من الناس ترى ما هو السبب ؟

إن السبب معروف، ألا وهو ذلك الإعصار، الذى يسعى جاهداً وبكل قوة أن ينتزع جذوة الإيمان التى تربط الإنسان بخالقه، إنه الإلحاد السافر بمذاهبه المتعددة الذى يعلن بكل صفاقة واستخفاف أن الألوهية خرافة وأن الدين وهم وتخدير للناس وأن المتدينون أغبياء

. . . والعجب العجاب أن هذه الترهات تحولت - فيما بعد - إلى عقيدة يدين بها بعض الناس ويدعون إليها بلا خجل أو حياء .

والأدهى من ذلك وأمر أنهم خططوا للهجوم على الدين والمتدينيين تارة، وشككوا فيه تارة أخرى، وبدأت الأفكار الإلحادية تتسلل إلى الدول الإسلامية، وساعد على تسللها - مع الأسف - أناس لا أخلاق لهم ﴿ رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ﴾ يريدون أن يعيش الإناسن حراً طليقاً من كل قيد، يأكل، ويشرب، ويتمتع، ويلهو، أو على حد قول الشاعر الماجن :

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور

والشئ المثير حقاً هو أن الموجة الإلحادية تخدع الناس بأن بنات أفكارها مأخوذة من العلم، وكانت النتيجة أن الناس خدعوا بهذا الشعار .

من هنا رأيت أنه من الواجب والمحتم أن أساهم بنذر يسير فى كشف النقاب عن ترهات هؤلاء الملاحدة، الذين يرتدون مسوح العلم، والعلم منهم براء .

إن النقطة التى تعرضت لها هى تحليل نفسية هؤلاء الناس، ولا أقصد الدخول فى نواياهم وطواياهم، فلا يعلم النوايا والخفايا إلا الله وحده، ولكن هذا التحليل من خلال أقوالهم وكتابتهم وما يدعون إليه . .

أعاقل وسوى ذلك الإنسان الذى ينكر وجود خالقه، ثم يدعى أن هذا الكون بسمائه وأرضه وبره وبحره وجد عن طريق الصدفة العمياء؟

أيتصورون صنعة بلا صانع، وتسوية بلا مسو، وكوناً بلا مكون . . .

إن ذلك الملحـد المكابر، الذى يقـول هذا الكلام، لا يفكر، ولا يعقل، ولا يسمع، ومن كان هذا شأنه لا يهتدى أبداً .

إن الأدلة والبراهين على كثرتها قد لا تقنع الإنسان الذى أغلق قلبه، وأعلن الإنكار مع سبق الإصـرار والترصد، لكن آيات الله فى الأرض والسـماء، وفى الإنسـان نفسـه، وفى كل شئ من الذرة إلى المـجرة كفيلة بـأن تقنع من يريد البرهان والدليل، وما كان للعـقل الذى خلقه الله - عز وجل - أن يتـعطل فى يوم من الأيام عن الاهتداء إلى أوضح ما يكون واضحاً أمامه أو كما يقول أحد الشعراء :

وليس يصح فى الأذهان شئ إذا احتاج النهار إلى دليل

إننا فى حاجـة ماسة إلى مـحاورة الإلحـاد بشتى صوره ومـذاهبه، ومحـاولة الكشف عن زيغه وسفـسطته ﴿ ليـهلك من هلك عـن بينة ويحيى من حى عن بينة ﴾ .

أسـأل الله - جل فى علاه - أن يجـعل هذا الجهـد المتـواضع فى موضع القبول عنده، إنه حسبى ونعمه الوكيل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دكتور

إبراهيم عبد الشافى إبراهيم

القاهرة فى ٢٥ رمضان ١٤١٨ هـ

٢٣ يناير ١٩٩٨ م

حاجة الإنسان إلى الدين

إن الدين صلة روحية بين الله وبين الإنسان . . . الإنسان ذلك الضعيف المحتاج، المقيد بالجوع والظمأ والشيخوخة والمرض . . . ثم الموت، والإله الذى له القدرة المطلقة، إن هذه الصلة بين الإنسان وبين ربه تنسكب فيها العوطف كلها من خوف ورجاء، وحب وولاء، وإجلال وتقديس . . .

وليس هناك عاطفة كالدين، التى تتداعى إليها كل عواطف الإنسان، تساندها، وتمتزج بها، وتأخذ مكانها معها فى محراب التعبد والابتهال وأنىّ للإنسان بكلمات تعبر عن هذه العاطفة، بله تلك العواطف الكثيرة المختلفة المجتمعة على درجات كثيرة متفاوتة من الصدق والقوة وعلى حظوظ متباينة من الإيمان واليقين[1] .

ومع مولد البشرية كان ميلاد عقيدتها، وكلما سارت الإنسانية فى طريقها نحو التكامل والنمو صاحبتها عقيدتها فى ذلك الطريق، ولما كتب الله للبشرية أن تنضج وترقى، وتعرج فى معارج السمو والكمال كُتب للشريعة أن تتدرج فى مجالات التسامى، حتى وصلت كاملة فى النهاية إلى أكمل الخلق وخاتم الأنبياء رسول الإسلام محمد - عليه الصلاة والسلام - .

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾[2] .

وإذا كانت هناك بعض الفترات التى يبدو فيها أن البشرية قد نضت

---

(١) قضية الألوهية بين الفلسفة والدين ١/٤ عبدالكريم الخطيب - دار الفكر العربى - ١٩٦٢ .

(٢) المائدة الآية: ٣ .

ثوب الدين، أو عاشت فى فراغ عقدى، وجدب روحى، فما ذاك إلا فورة عارضة، ونوبة طارئة، أو لوثة لا تلبث بعدها إلا أن تعود إلى حظيرة الإيمان، ويتبدد بعد ذلك الإنحراف الإنسانى .

وإذا كان الإنسان ـ كما يقولون ـ مدنياً بطبعه، فهو متدين بفطرته وما كان الله ـ سبحانه ـ أن يخلق الخلق، ويوجد البشر ويتركهم هملا بلا عقل، ولا عاطفة ولا دين، فالدين متأصل فى النفوس .

من من البشر لم يفكر فى هذا الكون المحيط به، كيف نشأ؟ وكيف يسير ؟

وما الهدف من خلقه؟ وهل وجد بذاته أو له خالق ؟ !

أو وجد بالصدفة ؟ أم بقدرة قادر، ومن هو القادر ؟ وما صفاته ؟ وما صلته بالعالم ؟

وهذا الإنسان أهو مركب من جسد وروح ؟ وإذا كان كذلك فما هى الروح أخالدة أم فانية ؟ وإذا كانت خالدة فكيف يبعث الإنسان ؟ وكيف يحاسب ؟ ومتى سيكون ذلك الحساب . . . ؟

أسيئلة كثيرة تفرض نفسها على الإنسان وتحتاج إلى إجابة، وحينما يعرف ا لإنسان وجه الحق فيها يضع نهاية للقلق والتوتر والحيرة وتستقر نفسه، ويهدأ باله .

والدين هو الذى يقدم له الإجابات الشافية على جميع الأسئلة التى تدور فى خلد كل إنسان، فتطمئن نفسه، ويسكن قلبه .

﴿ هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾[١] .

وإذا كان تركيب الإنسان من جسد وروح فإن إغفال جانب من الجانبين يعنى انعدام التوازن اللازم لبقاء الإنسان، وإهدارا لرسالته، فتعاملنا مع الإنسان كمادة فقط يفقده أعز ما يتمتع به من حرية ومسئولية وآمال وقيم عليا وضمير خلقى، وتعاملنا معه كروح فقط نعزله بهذا التعامل عن الكون، ونحرمه من طيبات الحياة، وندفع به إلى الخشونة والرهبنة والشظف .

والله - سبحانه - يعلم أن عقول البشر عاجزة عن معرفة كل شئ ولهذا بعث الرسل - عليهم السلام - بالرسالات السماوية ليحققوا التوازن بين المادة والروح .

ومن هنا كانت ضرورة الدين للإنسان .

والإنسان إذ يعجز عن الإجابة عن كل تساؤلاته فإنه يتجه إلى ما وراء الكون باحثاً عن الحقيقة[٢] .

إن الدين هو الذى يبين أن كل ما فى الكون مخلوق من العدم، ومن أصغر ذرة إلى أكبر مجرة يسير وفق قوانين محكمة، لا تتحرك

(١) سورة الفتح الآية: ٤، ينظر: كتاب عقيدتنا، ص٤، دكتور محمد ربيع الجوهرى، ط٤، ١٩٩٧م .

(٢) نظرات فى العقيدة الإسلامية، ص١٦ وما بعدها، د. محمد الأنور حامد عيسى، ط٣، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

ظواهره جزافاً، بل خاضع لإرادة خالقه ﴿ إنا كل شئ خلقناه بقدر﴾[1] .

والدين يبين أن كل فى الكون نعمة من الله للإنسان، ومسخر بكل تنوعاته لسعادة الإنسان وما عليه إلا أن يتحرك ليستفيد مما فيه، وما عليه إلا أن يتأمل فى ملكوت السماوات والأرض، وفى كل ما يحيط به ليخرج من خلال هذا التأمل بأن له خالقاً مدبراً حكيماً وراء كل ذرة من ذرات هذا الوجود، يقول الله تعالى: ﴿ الذى خلق فسوى. والذى قدر فهدى ﴾[2] .

ويقول سبحانه :

﴿ ألم نجعل الأرض مهادا. والجبال أوتادا. وخلقناكم أزواجا. وجلعنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا. وجعلنا النهار معاشا. وبنينا فوقكم سبعاً شدادا. وجعلنا سراجاً وهاجا. وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا. لنخرج به حباً ونباتا. وجنات ألفافا ﴾[3] .

ويقول تباركت أسماؤه :

﴿ أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون. أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ﴾[4] .

والدين هو الذى يبين للإنسان حقيقة نفسه فإذا عرفها عرف هذا الوجود وإذا عرف هذا الوجود عرف أنه مستخلف فى هذه الأرض وأنه مكرم فيها، وأنه سيدها، وأن كل ما حوله مسخر لخدمته .

---

(١) القمر الآية: ٤٩ .

(٢) الأعلى الآية: ٢، ٣ .

(٣) النبأ الآيات: ٦ ـ ١٤ .

(٤) الطور الآية: ٣٠ ـ ٣٦ .

والدين هو الذى يبين للإنسان أن العقل ورسالات السماء، ووجود الإنســان على الأرض، هذه الأمور هى أســاس المسئولية، وسبب الإستخلاف على الأرض .

يقول تعالى :

﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا. إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً. إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا ﴾[١] .

والدين هو الذى يبين للإنسان أن هذه الحياة رحلة قصيرة وأن الموت نهاية حاسمة لكل حى، ومصير لابد أن ترده كل نفس، وما هذا الموت إلا نقلة من مكان إلى مكان، لا ينقص فيه إدراك المرء لحقائق الوجود شيئاً، ولا يخف إحساسه بها، بل قد يتضح ويزيد، ولو فهم الإنسان تلك الحقيقة لما اكترث من الموت، ولما تهيب من الإقبال عليه، ولما شعر بالتوجس من بوادره، إنه ليس نهاية مروعة، وإنما هو بداية لرحلة الخلود .

إن الدين هو الذى يقدم الأدلة والبراهين على وجود الله ـ تعالى ـ وعلى إتصافه بكل كمال يليق بذاته المقدسة، وتنزهه عن كل نقص وإنه تعالى الأول والآخر، وإنه تعالى: **﴿ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ﴾**[٢] .

---

(١) الإنسان الآيات: ١ ـ٣، ينظر: نظرات فى العقيدة الإسلامية، ص١٧ وما بعدها.

(٢) الشورى الآية: ١١، انظر المرجع السابق، ص٢٠، ويراجع: عقيدة المسلم، ص٢٣٤، الشيخ محمد الغزالى ـ الطبعة الثانية ـ دار الدعوة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩م.

وإذا كان الدين فطرة إنسانية، فإنه كذلك ضرورة إجتماعية، فلابد لواقع الناس من دين الله، يوجه دنياهم ويأخذ بأيديهم إلى شاطئ الأمان .

يقول الدكتور محمد عبدالله دراز :

« .. إذ ليس على وجه الأرض قوة تكافئ التدين أو تدانيها فى كفالة إحترام القانون، وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه .

والسر فى ذلك أن الإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية إن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شئ لا يقع عليه سمعه ولا بصره، ولا يوضع فى يده ولا عنقه، ولا يجرى فى دمه، ولا يسرى فى عضلاته وأعصابه، وإنما هو معنى إنسانى روحانى، اسمه الفكر والعقيدة .

ولقد ضل قوم قلبوا هذا الوضع وحسبوا أن الفكر والضمير لا يؤثران فى الحياة المادية والاقتصادية، بل يتأثران بها، هذا الرأى الماركسى هو قبل كل شئ نزول بالإنسان عن عرش كرامته، ورجوع به القهقرى إلى مستوى البهيمية، ثم هو تصوير مقلوب للحقائق الثابتة المشاهدة فى سلوك الأفراد والجماعات فى كل عصر .

لكى يختار الناس أن يحيوا حياة مادية لا نصيب فيها للقلب ولا للروح، لابد أن يقنعوا أنفسهم بادئ ذى بدء بأن سعادتهم هى فى هذا النوع من الحياة، فالإنسان مقود أبداً بفكرة صحيحة أو فاسدة، فإذا أصلحت عقيدته صلح فيه كل شئ. وإن فسدت فسد كل شئ .

أجل: إن الإنسان يساق من باطنه لا من ظاهره، وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات بكافيين وحدهما لإقامة مدينة فاضلة، تحترم فيها الحقوق وتؤدى الواجبات على وجهها الكامل، فإن الذى يؤدى واجبه رهبة من السوط أو السجن أو العقوبة المالية، لا يلبث أن يهمله متى اطمئن إلى أنه سيفلت من طائلة القانون.

ومن الخطأ البين أن نظن أن فى نشر العلوم والثقافات - وحدها - ضماناً للسلام والرخاء، وعوضاً عن التربية والتهذيب الدينى والخلقى، ذلك أن العلم سلاح ذو حدين: يصلح للهدم والتدمير، كما يصلح للبناء والتعمير، ولابد فى حسن استخدامه من رقيب أخلاقى يوجهه لخير الإنسانية وعمارة الأرض، لا إلى نشر الشر والفساد.

ذلك الرقيب هو العقيدة والإيمان.

غير أن الإيمان على ضربين:

« إيمان » بقيمة الفضيلة، وكرامة الإنسانية وما إلى ذلك من المعانى المجردة، التى تستحى النفوس العالية من مخالفة دواعيها ولو أغفيت من التبعات الخارجية والأجزية المادية. و« إيمان » بذات علوية، رقيبة على السراء يستمد سلطانه الأدبى من أمرها ونهيها، وتلتهب المشاعر بالحياء منها، أو بمحبتها أو بخشيتها، ولا ريب أن هذا الضرب هو أقوى الضربين سلطاناً على النفس الإنسانية، وهو أشدهما مقاومة لأعاصير الهوى وتقلبات العواطف، وأسرعهما نفاذاً فى قلوب الخاصة والعامة.

من أجل ذلك كان التدين خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة والنصفة، وكان لذلك ضرورة إجتماعية، كما هو فطرة إنسانية .

وأنت فهل عسيت أن يخالجك شئ من الشك في مدى حاجة الجماعة في مختلف الأمم والشعوب إلى إزدهار هذا الروح الديني فيها ؟

وهل غرك أن دولا كبيرة أسست نهضتها فى عصرنا هذا على غير الدين، وقد استتب النظام فيها ومكن لها فى الأرض ؟

إننا لا نريد أن نسبق الحوادث، وأن نتنبأ بمصير هذا البنيان الذى أسس على غير تقوى من الله ورضوان .

ولكن نحب أن نقدم لك نموذجاً، لا من أقوال رجال الدين بل من أقطاب العلم وزعماء السياسة وقواد الحرب فى تلك الدول نفسها، فاستمع إلى قول «روبرت ميلكيان» العالم الطبيعى الأمريكى :

« إن أهم أمر فى الحياة هو الإيمان بحقيقة المعنويات وقيمة الأخلاق، ولقد كان زوال هذا الإيمان سبباً للحرب بين العامة، وإذا لم نجتهد الآن لاكتسابه أو لتقويته فلن يبقى للعلم قيمة بل يصير العلم نكبة على البشرية » .

وقول الدكتور ويلسون الرئيس الأسبق للولايات المتحدة بأمريكا :

« وخلاصة المسألة أن حضارتنا إن لم تنقذ بالمعنويات، فلن

تستطيع المثابرة على البقاء بماديتها، وأنها لا يمكن أن تنجو إلا إذا سرى الروح الدينى فى جميع مسامها »[١] .

نأخذ من هذا أن الدين ضرورى للأفراد حتى يطمئنوا فى حياتهم ويسعدوا فى آخرتهم، وليس لأحد أن يغتر بعقله وذكائه بعيدا عن العون الإلهى، ولا أن يخدع نفسه بالعلم المادى وحده .

وكما أن الدين ضرورى للأفراد فهو ضرورى للمجتمعات لكى تستقر وتنعم بالحب والأمان والعدل، وأن أى حضارة بلا دين مصيرها - وإن طالت الأيام - إلى الزوال والفناء .

ولئن بحث العقل الإنسانى الراشد إلى الدين الإلهى ا لصحيح الكفيل بإنقاذ البشرية اليوم والخروج بها من مأساتها فإنه واجد ذلك فى الإسلام، ذلك الدين الذى ارتضاه الله لخلقه .

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾[٢] .

---

(١) الدين، ص٩٨ - ١٠٠، د. محمد عبدالله دراز، دار القلم، الكويت .

(٢) المائدة الآية: ٣ .

معنى الإلحاد :

الإلحاد مصدر الفعل ألحد، ونقول: ألحد عن الدين ومال وحاد وطعن فيه ومار وجادل، وترك القصد فيما أمر به، ومال إلى الظلم والشك فى الله ووجوده، قال ابن السكيت: الملحد العادل عن الحق، المدخل فيه ما ليس فيه[١] .

والإلحاد لغة :

يعنى الكفر، والملحد هو الكافر جمعه ملاحدة وملحدون، والملاحدة فرقة من الكفار، كانوا يسمون فيما مضى بالدهريين وبالدهرية .

أما الملحادة فتعنى فى اللغة الطعن فى الدين، وقد ورد فى القرآن الكريم :

﴿ إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا ﴾[٢] .

ويقال: ألحد فلان فى كلامه إذا مال عن الصواب، ومعنى الآية إن الذين يميلون عن الحق فى شأن آياتنا ليسوا بغائبين عن علمنا، بل هم تحت بصرنا وقدرتنا[٣] .

الإلحاد فى القديم والحديث

منطق الإلحاد واحد فى القديم والحديث، وإن كانت له صوراً وأشكالا مختلفة إلا أن هذه الصور والأشكال تلتقى كلها فى بوتقة واحدة ومن أهمها فى القديم :

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة ألحد ٤٠٠٦/٥ ط دار المعارف .

(٢) فصلت الآية: ٤٠ .

(٣) راجع تفسير الوسيط، ص٤٦٥، ج١٢، د. محمد سيد طنطاوى، ط٣، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

١ ــ الدهرية :

وهى فرقة ملحدة ترى أن العالم موجود أزلاً وأبداً لا صانع له، وزعموا أن الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان كذلك كان، وكذلك يكون بلا صانع[١] .

وعن هذا الصنف يحدثنا القرآن الكريم، فيقول تعالى :

﴿ وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ولا يهلكنا إلا الدهر، وما لهم بذلك من علم، إن هم إلا يظنون ﴾[٢] .

٢ ــ الطبيعيون :

وهم الذين يسندون الحوادث كلها إلى طبيعة الأشياء وينكرون الفاعل المختار، والطبعى معطل بطال، لا يهديه عقله ونظره إلى اعتقاد، ولا يرشده فكره وذهنه إلى معاد، ألف المحسوس، وركن إليه، وظن أنه لا عالم سوى ما هو فيه مطعم شهى ومنظر بهى، ولا عالم وراء هذا المحسوس، ويقول عنهم الإمام الغزالى :

« هم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعيات، وعن عجائب الحيوانات والنباتات، وأكثروا الخوض فى علم تشريح أعضاء الحيوانات، فرأوا فيها من عجائب صنع الله، وبدائع حكمته، وما اضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم، مطلع على غاياتع الأمور ومقاصدها، ولا يطالع التشريح وعجائب منافع الأعضاء مطالع إلا ويحصل له هذا العلم الضرورى بكمال تدبير الباقى لبنية الحيوان لا سيما بنية الإنسان .

إلا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظهر عندهم الاعتدال المزاج تأثير عظيم فى قوى الحيوان به، فظنوا أن القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجة أيضاً، أنها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم، ثم إذا

---

(١) المنقذ من الضلال للإمام الغزالى، ص١٠٨، ١٠٩، تقديم د. عبد الحليم محمود ـ دار الكتب الحديثة .

(٢) الجاثية الآية: ٢٤، يراجع: توبة الملحدين، ص٤، هندى محمد شريف ط وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية بالأردن، ١٩٩٣ م .

انعدم فلا يـعقل إعادة المعدوم ـ كـما زعموا ـ فـذهبوا إلى أن النفس تموت ولا تعود، فـجحدوا الآخرة، وأنكروا الجنة والـنار، والحشر والنشر، والقيـامة، والحساب، فلم يبـقى عندهم للطاعة ثواب، ولا للمعصية عقاب، فإنحل عنهم اللجام، وإنهمكوا فى الشهوات إنهماك الأنعام[١] .

أما فرق الإلحاد فى العصر الحديث فمن أبرزها :

١ ــ الشيوعية :

وهى مذهب فكرى وضع أسسه « كارل ماركس » اليهودى الألمانى (١٨١٨ ـ ١٨٨٣) وهو حفيد اليهودى المعروف « مردخاى ماركس »

وكارل ماركس شخص أنانى متقلب المزاج، حاقد، مادى، ساعده فى التنظيم لمذهبه « فـردريك إنجليز » ١٨٢٠ ـ ١٨٩٥، وهو صديق كارل ماركس الحميم، وقد ساعده على نشر ذلك المذهب .

وفى المذهب الماركسى تجمعت كل شبه الإلحاد، وانعكست فيها نقائض الفكر والسلوك اليهودى والمسيحى .

وبهذا الفك الـمريض هاجمت الشـيوعـية المسلمـين فى ديارهم بأسلوب شرس دمـوى عنيف، يحمل فى طياته مكـر اليهود وخبـثهم

(١) المنقذ، ص١١٠، أصول الدين للبغـدادى، ص٣٠٢، مطبعة الدولة، استنابول ١٣٤٦هـ، أبكار الأفكـار، ص٧٤٣ ـ سـيف الدين الأمـدى، رسـالة دكـتـوراه مخطوطة بكلية أصول الدين بالقاهرة تحقيق د. أحـمد المهدى، العقائد الخيرية للخادم، ص٧ ـ عيسى الحلبى القاهرة .

وحقدهم، كما يحمل بقايا خربة عفنة من الوثنيات الضالة، التى كادت البشرية أن تتخلص منها .

والشيوعية لا تؤمن بالله أو الآخرة أو الثواب والعقاب فى غير هذه الدنيا، وتنكر الروابط الأسرية، وترى فيها دعامة للمجتمع البرجوازى، وبالتالى لابد من أن تحل محلها الفوضى الجنسية[1] .

٢ - الوجودية :

يرى رجال الفكر الغربى أن: سورين كير كجود (١٨١٣ - ١٨٥٥) هو مؤسس المدرسة الوجودية، غير أن « جان بول سارتر » المولود عام ١٩٠٥ م - هو الذى وضع أسس هذا المذهب الإلحادى، لذا نراه يقول :

« .... أما الوجودية الملحدة التى أمثلها أنا (أى سارتر) تعلن فى وضوح وجلاء تامين أنه إذا لم يكن الله موجوداً، فإنه يوجد على الأقل مخلوق واحد قد تواجد قبل أن تتحد معامله، وهذا المخلوق هو الإنسان ... إن الإنسان يوجد، ثم يريد أن يكون، ويكون ما يريد أن يكونه بعد القفزة التى يقفزها إلى الوجود والإنسان ليس سوى ما يصنعه هو بنفسه. هذا هو المبدأ الأول من مبادئ الوجودية »[2] .

تلك هى أبرز المذاهب الإلحادية فى القديم والحديث. ونحن هنا

---

(١) راجع الشيوعية والشيوعيون فى ميزان الإسلام، د. عبدالجليل شلبى ، الشيوعية وليدة الصهيونية، د. أحمد عبدالغفور .

(٢) راجع: الوجودية فلسفة الوهم الإنسانى ص٢٥ وما بعدها د. محمد إبراهيم الفيومى طمجمع البحوث الإسلامية .

لا نستقرئ هذه المذاهب ولكن غرضنا فى هذا البحث هو محاولة التعرف على نفسية هؤلاء الملاحدة، واستكشاف ذلك من خلال أقوالهم وكتاباتهم، ووضعها فى ميزان العقل السليم .

أسباب الإلحاد ودوافعه :

إن الإيمان بالله تعالى هو - بلا شك - فيصل التفرقة بين المؤمنين والملحدين فى كل زمان ومكان، والإيمان بالله تعالى هو اعتقاد الفطرة التى فطر الله الناس عليها، وهو أساس كل جزئيه يشتمل عليها الدين الإسلامى .

أما الإلحاد، فهو طارئ على هذه الفطرة، والقرآن الكريم حدد الأسباب العامة للإلحاد وهى :

١ - الكبر :

﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً. يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ﴾[1] . فقد وضحت الآية أن الكبر هو الذى أوقع هؤلاء القوم إلى تصور أن الحياة الدنيا هى كل شيء، ولا شيء وراء الحياة إلا العدم - كما يتوهمون .

٢ - الإنحراف :

﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب. أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا فى تباب ﴾[2] .

---

(١) الفرقان الآية: ٢١، ٢٢ .

(٢) غافر الآية: ٣٦، ٣٧ .

توضح الآيتان أن المسلك الذى سلكه فرعون مسلك خاطئ يدل على سوء فهمه وسخفه، لأنه يريد أن يتوصل من خلال هذا القول بأنه ليس هناك إله سواه، ولو كان هناك إله سواه لشاهده هو وغيره من الناس - فى زعمه .

٣ - الظلم :

﴿ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾[1] ، فكلمة بظلمهم تبين وتوضح أن الذى دفعهم أن يطلبوا هذا الطلب، هو الظلم، ظلم النفوس للحق، التى تتنكر له.

---

(١) النساء الآية: ١٥٣ .

محور الهجوم الرئيسى عند الملاحدة

فى القديم والحديث

يركز الملاحدة على قضية أساسية فى هجومهم ألا وهى إنكار وجود الله تعالى .

فقديماً أنكر الدهريون وجود الله، وقالوا: لا صانع للكون. وأنكر الزنادقة وجود الله، وقالوا: لا إله للكون بل إلهين. وحديثاً أنكرت الوجودية والشيوعية وجود الله تعالى .

ومن قبل هؤلاء جميعاً أنكر فرعون وجود الله ـ تعالى ـ وأعلن فى الملا قائلاً : ﴿ ما علمت لكم من إله غيرى ﴾[١] .

ومما لا شك فيه أن إنكار الألوهية يستتبع إنكار كل الغيبيات التى جاء بها الدين من قيامه وحساب وجنة ونار . . .

ونحن فى بحثنا هذا نركز على هذه القضية بالذات، لأنها أم القضايا وحقيقة الحقائق، وسوف نبين ـ بمشيئة الله ـ مدى الوهم الذى يعيش فيه هؤلاء الملاحدة، ونقول لهم جميعاً ـ فى القديم والحديث ـ كما قال الله تعالى :

﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ﴾[٢] .

إن الأمر الذى يلفت النظر هو اعتقاد هؤلاء الملاحدة فى فكرة بلا دليل أو برهان، والعجاب أن كثيراً منهم يصفون أنفسهم بعد ذلك بأنهم علماء، مع أن الدليل والبرهان هو « ألف باء » العلم .

---

(١) القصص الآية: ٣٨ .

(٢) الكهف الآية: ٥ .

وما كان للعلماء أن ينكروا وجود الله، وما كفروا، بل أنهم صدقوا وآمنوا، لأن العلم والتبحر فيه لا يدعو إلى الكفر وإنما يدعو إلى الإيمان، وسوف نسرد بعض أسماء مشاهير العلماء، الذين أبدوا ملاحظاتهم فى قضية وجود الله ونشأة الكون والحياة والإنسان .

١ ـ يقول اينشتين :

« إنى لا أتمكن أن أتصور عالماً حقاً، لا يدرك أن مبادئ الوجود مبنية على حكمة تجعلها مفهومة عند العقل، إن العلم بلا إيمان ليمشى مشية الأعرج، وإن الإيمان بلا علم ليتلمس تلمس الأعمى[1] .

٢ ـ حينما فرغ المهندس (إيفل) من بناء برجه الشامخ فى قلب باريس زاره لأول مرة العالم الإنجليزى (اديسون) وكتب فى السجل الذهبى لبرج (إيفل) هذه الكلمات :

« إلى السيد إيفل من اديسون الذى يكن له أعمق احترام وأكبر إعجاب بالمهندسين جميعاً وعلى رأسهم المهندس الأعظم الله »[2] .

---

(١) اينشتين ، د. محمد عبدالرحمن مرحبا، ص ١٤١ نقلاً عن كتاب الإيمان بالله فى ضوء العلم والعقل للأستاذ محمد رشدى عبيد ص٨١ الطبعة الأولى - دار القادرى دمشق، ١٩٩٣ م .

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة. هذا ونود أن نشير إلى أن قضية تسمية الله تعالى بغير أسماءه الحسنى وصفاته العليا كما ورد فى كلام إيفل: المهندس الأعظم الله . الحقيقة أنه من ناحية اللغة فإن هذا اللفظ لم يوضع ليدل على الله تعالى حقيقة ولا على سبيل المجاز لعدم استيفاء الشروط، أما من ناحية الشرع فهناك رأيان: الأول أن الله تعالى لا يطلق عليه اسم إلا بإذن الشرع، وهذه الأسماء وما شابهها لم يرد فيها أذن من الشرع فلا يجوز إطلاقها على الله . =

٣ ـ جاليليو :

« لشدة ما أنا مأخوذ بروعة ما أرى ومدين لله بما وهبني لكي أكشف هذا الإبداع العظمي الذى لم يظهر لكل الأجيال السابقة »[١] .

٤ ـ الدكتور روبرت موريس بيج مخترع الرادار :

« إن الإيمان بوجود الله من الأمور الخاصة التي تنبيت في شعور الإنسان وضميرة وتنمو فى دائرة خبرته الشخصية »[٢] .

٥ ـ اللورد كالفن :

« إذا فكرت تفكيراً عميقاً، فإن العلوم سوف تضطرك إلى الإعتقاد بوجود الله »[٣] .

= الثانى: أنه لا يحرم إطلاق اسم عليه تعالى إلا إذا ورد نهى من الشرع ومثل هذه الإطلاقات لم يرد فيها نهى، ولا يخفى أن ايهام الخطأ مختلف باختلاف اللغات، وعادات الاستعمال، فرب لفظ يوهم عند قوم، وهو فى نفس الوقت لا يوهم عند غيرهم، غير أننا نميل إلى الرأى الأول وهو عدم إطلاق أى إسم على الله تعالى إلا بإذن الشرع، ذلك أن أسماء الله وصفاته توقيفية، والوقوف على ما حدده الشرع أدق وأحكم، وهذا ما باب الاحتياط والبعد عن الخطأ والزلل، راجع: كتاب المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى للإمام الغزالى .

(١) نفسه، ص ٨١ .

(٢) الله يتجلى فى عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، ص١٤، ط٣، مؤسسة الحلبى، ١٩٦٨ م .

(٣) نقلا عن كتاب الإيمان بالله فى ضوء العلم والعقل، ص ٨٢ .

٦ ــ نيوتن مكتشف الجاذبية :

« ما من شك أن خالق العالم هو محيط بأسرار عالم الميكانيك إحاطة كاملة »[١] .

٧ ــ كريسى موريسون رئيس المجمع العلمى فى أمريكا :

« لقد بلغنا من التقدم درجة تكفى لأن نوقن بأن الله قد منح الإنسان قبساً من نوره »[٢] .

٨ ــ المستشار اليابانى كلودم. مصمم العقل الإلكترونى :

« بعد إشتغالى سنوات عديدة فى عمل تصميمات لأجهزة وأدوات كهربائية ازداد تقديرى لكل تصميم وإبداع . . .

إن المهندس يتعلم كيف يمجد النظام وكيف يقدر الصعاب التى تصاحب التصميم عندما يحاول المصمم أن يجمع بين القوى والمواد والقوانين الطبيعية فى تحقيق هدف معين . . . إن التصميم والنظام أو الترتيب، أو سمها ما شئت لا يمكن أن تنشأ إلا بطريقتين: طريق المصادفة، أو طريق الإبداع والتصميم، وكلما كان النظام أكثر تعقيداً بعد احتمال نشأته عن طريق المصادفة ونحن فى خضم هذا الانهائى لا نستطيع إلا أن نسلم بوجود الله . . . إن هذا الكون ليس إلا كتلة تخضع لنظام معين، ولابد له إذاً من سبب أول لا يخضع للقانون

---

(١) نفسه، ص ٨٢ .

(٢) العلم يدعو إلى الإيمان ص٨٧ كريسى موريسون ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٤م .

الثانى من قوانين الحركة الديناميكية الحرارية، ولابد أن يكون هذا السبب الأول غير مادى فى طبيعته. « إنه هو الله اللطيف الخبير الذى لا تدركه الأبصار »[١] .

٩ ــ كركجارد :

فيلسوف فرنسى وجودى لم يهبه مذهبه الأمن العاطفى والسكينة النفسية، فاطر إلى الإستغاثة بالله خاشعاً :

« إن حزنى لعظيم لا يحده حد، وما لأحد علم به سوى الله جل جلاله . . . إن أحداً لا يستطيع أن يهبنى العزاء إلا الله ـ سبحانه ـ فى علو سمائه »[٢] .

١٠ ــ الدكتور فرنك ألن. أستاذ الطبيعة البيولجية :

« إن البروتينات من المركبات الأساسية فى جميع الخلايا الحية، وهى تتكون من عناصر هى: الكربون، الهيدروجين، النيتروجين، الإكسجين، الكبريت، ويبلغ عدد الذرات فى الجزئ البروتينى الواحد (٤٠) ألف ذرة، ولما كان توزيعاً عشوائياً، فإن احتمال إجتماع العناصر الخمسة السابقة لكى تكون جزيئاً من جزيئات البروتين يمكن حسابه لمعرفة كمية المادة التى ينبغى أن نخلط خلطا مستمرا لكى نؤلف هذا الجزئ .

ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكى يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزئ الواحد . . . » ثم قال: « وقد قام العلم الرياضى

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ص٨٩، ٩٠ .

(٢) نقلا عنه كتاب الإيمان بالله، ص ٨٣ .

السويسرى « تشارلز يوجين » بحساب تلك العوامل فماذا وجد ؟

وجد أن فرصة تكون جـزئ بروتيني واحد هى بنسبة (١) إلى (١٠) مضروبن فى نفسه (١٦٠) مرة وهو رقم خـيالى، وإن كمية المادة التى تحتاجه المصـادفة لإنتاج الجزئ هى كمية هائلة لا يسـتوعبها الكون، إذا كان حجمه أكبر من حجمه الحالى ملايين المرات، والسنوات التى يحتـاجها صنع الجزئ الـواحد هو (١٠) مضروب فى نفـسه (٢٤٣) مرة، وهو وقت خيالى. ثم يقول الدكتور: « ولكن البروتينات ليست إلا مواداً كيمـاوية عديمة الحياة، ولا تدب فيهـا الحياة إلا عندما يحل فـيهـا ذلك السر العـجيب، الـذى لا ندرى من كنهه شـيئـاً وهو الله وحـده، الذى اسـتطاع أن يدرك ببـالغ حكمـته أن مـثل هذا الجـزئ البروتينى يصـلح لأن يكون مستـقراً للحيـاة فبناه وصوره وأغـدق عليه الحياة »[1] .

١١ ـ برجسون الفيلسوف المعروف .

« أرى الكون كله من الذرة إلى المـجرة ينبض كـالجسـد الواحد، بحياة واحدة، يتجلى فيهـا ترابط الأجزاء وتواصلها وتعاونها وتساندها تجلياً باهراً، يخلق فى نفوسنا ذلك الإلهام أو الإدراك المباشر لوجود الله الخلاق العظيم »[2] .

هذه شهادات لمـجموعة من العلماء فـى شتى فروع العلم، وهى ـ تعد بلا شك ـ صفـعة فى وجه أولئك الملاحـدة الذين ينكرون وجود الخالق ـ سبحانه وتعالى .

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ص٩، ١٠.

(٢) الإيمان بالله ص٨٣ .

إن فروع العلم كـافة تثبت وتبيـن أن هناك نظاماً معجـزاً يسود هذا العـالم من الذرة إلى المـجرة وهذا النـظام أساسـه القـوانين والسنن الكونيـة الثابتـة التى لا تتـغيـر ولا تتبـدل. فمن الذى سن القـوانين وأودعـها فى كل ذرة من ذرات هذا الـوجود؟ بل فى كل مـا هو دون الذرة عند نشـأتهـا الأولى؟ ومن الذى خلق كل هذا النظام والتـوافق والإنسجام؟ من الذى صمم فأبدع وقدر فأحسن التقدير؟ هل خلق كل ذلك من غيـر خالق - كـما يزعم المـلاحدة - أم هم الخـالقون ؟ إن النظام والقـانون، وذلك الإبـداع الذى نلمـسـه فى كل ذرة من ذرات الكون - حيـثما اتجهت أبصـارنا - يدل على أن الله هو القدير، وعلى أنه العليم الخبير من وراء كل شيء .

وقفة مع الملاحدة فى قانون التعليل

يقول الملحد المعروف هكسلى :

« إذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعية فلا ينبغى أن ننسبها إلى أسباب فوق الطبيعة »[1] .

ويقول ارنست هيكل البيولوجى الألمانى :

« إن الكون مؤلف من المادة والمادة مؤلفة من الذرات، ومن هذه المادة ظهر كل ما فى الكون من أحياء وغير أحياء »[2] .

ويوضح ارنست كلامه فيقول :

« إن أصل الحياة نشأ من توازن نسبى بين مقادير خاصة من العناصر المادية، ولكن هذا التوازن نسبى بين مقادير خاصة من العناصر المادية، ولكن هذا التوازن دقيق جداً إلى حد أنه قد يكون نقص جزء واحد أو زيادة جزء واحد من أحد العناصر سبباً فى نشوء الحياة أو تعطل نشوءها »[3] .

ويبلغ الخبل بأرنست فيضرب مثالا يوضح به كلامه فيقول :.

« اعطونى هواء ومواد كيماوية وماء وأنا أصنع إنساناً »[4] .

وواضح من كلام الملاحدة أنهم يحاولون جاهدين بما أوتوه من

---

(١) الإسلام يتحدى ص٣٦. وحيد الدين خان ط٧ المختار الإسلامى .

(٢) قصة الإيمان ص١٨٨ نديم الجسر .

(٣) ا لمرجع السابق ص ١٨٩ .

(٤) نفسه ص ١٥٢ .

سفسطة ألا ينسبوا خلق العالم إلى الله، وإنما الطبيعة هى التى أوجدت هذا العالم فى نظرهم أو هى الصدفة كما يرى بعضهم .

وقبل أن نناقش الملاحدة فى قانون التعليل نورد بعض الأمثلة البدهية، حتى تتضح الأمور :

١ ــ لنفرض أنك نظرت إلى وعاء أمامك، ووجدت فيه كثيراً من الآلات المختلفة والدقيقة، ولما تأملتها جيداً، بدأت تدرك الإنسجام والتآلف بين جزيئات هذه الآلات، ثم اكتشفت أن لكل واحدمنها مكاناً تركيبياً دقيقاً من الآخرى ثم أخذت تجمع هذه الأجزاء إلى بعضها وتؤلف بينها وفق هذا التركيب المصممة على أساسه، وعندما فرغت من وضع آخر آلة منها فى موضعها فوجئت بصوت دقيق رتيب ينبعث فى حركة مطردة منبعثاً من داخل تلك الآلات والتى انقلبت إلى جهاز متكامل وتأملت فإذا هى ساعة زمنية تضبط سير الزمن وحركته، ما الذى يدركه الإنسان عقب هذا ؟

إنه بلا شك يدرك أن لكل آلة من هذه الآلات الدقيقة غاية جزئية معينة قد هيئت لتحقيقها، وأن لمجموعها غاية واحدة وهى: ضبط الزمن .

ثم ماذا ؟

إنه يدرك ـ بلا شك ـ أن هناك مدبراً وراء دفع هذه الآلات الدقيقة والتى أدت إلى تحقيق تلك الغاية النوعية العظيمة .

٢ ــ دخلت إحدى المطارات العالمية الفخمة، ومعك مجموعة من الحقائب ولما دنوت إلى الباب الزجاجى المغلق فوجئت به وقد انفتح

على مصراعيه فى حركة تلقائية .

حتى إذا دخلت وتجاوزته أغلق كما كان، ثم ينفتح لقادم آخر وهكذا. . . ولما بحثت عن حقيقة الأمر بدافع التطلع الفكرى لديك، وجدت أن الباب يرتكز على جهاز خفى من تحت، سرعان ما يتأثر هذا الجهاز عند اجتياز أى شخص من فوقه على نحو يدفع مصراعى الباب إلى الإنفتاح .

فى هذا الوقت ينقدح فى ذهنك ـ بداهة ـ أن لهذا الجهاز علة ألا وهى تسهيل المرور على المسافر الذى قد لا تساعده يده ـ لما يحمله معه من حقائب ـ على فتح الباب، ولما كانت هذه الغاية الرائعة مما لا يمكن أن تسند إلى جماد لا يحس ولا يعقل كان لابد أن يكون هذا التصميم الدقيق من تدبير إنسان مفكر ذكى .

فإذا انتقلت إلى النظر فى هذا الكون وتأملت دقة تركيب أجزائه وتناسقها وتركيب ذراته التى لا تتجزأ ورأيت الأجزاء الصغيرة فيه مندفعة إلى تحقيق غايات معينة بالتآلف مع الأجزاء الأخرى ورأيت مجموع الأجزاء والجزيئات كلها تندفع إلى تحقيق بغايات نوعية سامية ضمن شروط دقيقة لو تخلف بعض منها لسرى الفساد إلى جميعها .

لو ذهبت تسرد مظاهر التناسق بين شتى المكونات التى تراها أمام عينيك لضاق بك العمر عند استقصاء ذلك وتجليته، ولارتد إليك الفكر خاسئاً مجهداً من روعة التدبير العجيب بدءاً من كهارب الذرات، إلى الأرض وما عليها وما فيها[1] .

---

(١) كبرى اليقنيات الكونية ص٨٩، ٩٠ د. محمد سعيد رمضان البوطى ـ دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ ط ٨ ـ ١٨٩٨٢ م .

هذه السماوات :

لو نظر الإنسان إلى الفضاء الكونى من خلال مرصد مجهز تجهيزاً علمياً لشاهد بلايين النجوم تسير فى الفضاء، منها ما يسير وحده، ومنها ما يسير فى شكل مجموعات، وأقرب كوكب منا هو القمر الذى يبعد عن الأرض ٢٤٠٠٠٠ ميل، وهو يدور حول الأرض ويكمل دورته فى مدة تسعة وعشرين يوماً ونصف اليوم .

وهناك آلاف من الأنظمة غير النظام الشمسى يتكون منها ذلك النظام الذى يسمى بنظام المجرات، أى مجموعة الأفلاك مثل المجموعة الشمسية، ويقرر علماء أن هذا الكون يتألف من أكثر من خمسمائة مليون من المجرات كلها تدور فى الفضاء، ولكل مجرة خط محدد لا تحيد عنه حتى لا تتصادم مع بعضها رغم سرعتها التى لا يتصورها عقل إنسان .

فمن هذه المجرات ما يسير بسرعة ثمانية أميال فى الثانية .

ومنها ما يسير بسرعة ثلاثة وثلاثين ميلاً فى الثانية .

ومنها ما يسير بسرعة أربعة وثمانين ميلاً فى الثانية .

وجميع النجوم على هذا النحو، تبتعد فى كل ثانية بسرعة فائقة عن مكانها، هذه الحركة المدهشة تحدث طبقاً لنظام وقواعد محكمة، بحيث لا يصدم بعضها ببعض، ولا يحدث أى اختلاف فى سرعتها .

ولو فتح الإنسان فؤاده، وأفرغ مشاعره من مشاغل الدنيا، وتلقى ما يلقيه عليه العلم الحديث فى كل يوم لازداد إيمانا على إيمانه ويقينا إلى يقينه .

لقد سئل رائد الفضاء السوفيتى (جاجارين) عما شاهده فى رحلته فقال :

لقد شاهدت الأجرام السماوية والكواكب تدور فى نظام دقيق كأن قوة عليا تمسك بها وتهيمن عليها[1] .

وذلك هو الشعور الفطرى الذى عبر الله عنه فى كتابه الكريم :

﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا ﴾[2] .

لكن لننظر ما الذى حدث من جاجارين بعد ذلك ؟ لقد استدعاه (خروشوف) رئيس الوزراء السوفيتى، وذكره بإلحاده وشيوعته، إذ كيف ينطق بالإيمان بالله ؟

وهنا تغير جاجارين وأعلن أنه بحث عن الإله فى السماء فلم يجده!!!

وحين زار « جيمس اروين » القاهرة ١٩٧٥ م قائد رحلة « أبولو ١٥ » التى استغرقت ثلاثة عشر يوما من ٢٦ يوليو إلى ٧ أغسطس ١٩٧١ وقضى منها حوالى عشرين ساعة على سطح القمر فى سيارة خاصة .

أجرى معه حوار صحفى نشر فى صحيفة أخبار اليوم ١١/١٩٧٥م

---

(١) فى نور العقيدة الإسلامية، ص٨٤ د. محمد سيد أحمد المسير، ط١، ١٤١١ هـ ١٩٩٠ ـ دار الطباعة المحمدية .

(٢) فاطر الآية: ٤١ .

قال :

« لقد أدى نزولى على سطح القمر إلى زيادة إيمانى بالله، وزادت العقيدة الدينية عمقاً فى نفسى. فقيل له: ولكن جاجارين قال: إنه بحث عن الله فى السماء فلم يجده فقال جيمس :

أنا لا أعرف إذا كان جاجارين قد صرح بذلك أم لا، ولكنى أحب أن أوضح أن الإنسان لا يمكن أن يرى الله بعينه كما يرى سائر الكائنات وأنا أيضاً لم أرى الله فى رحلتى من الأرض إلى القمر ولكننى شعرت به وازداد إيمانى بوجوده، وبقدرته، وبقوته . . .

فهذه الكواكب والنجوم التى تسبح فى الفضاء الانهائى بنظام رائع بديع ومحكم، لا يمكن أن تكون قد وجدت تلقائياً، أو بمحض الصدفة .

ولكن لابد من وجود قوة خارقة لا يبلغ مداها عقل الإنسان هى التى تتولى تنظيم حركة الكون وحركة الكواكب، والنجوم والفضاء، وهذه هى القدرة الإلهية[١] .

هكذا نرى أن العلم يدعوا إلى الإيمان بالله، ولم يدع يوماً إلى الكفر والإلحاد .

وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون. والشمس تجرى

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٥ .

لمستقر لهـا ذلك تقدير العزيز العليم. والقـمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لا الشمس ينبـغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ﴾[1] .

أجل: إنها قـدرة تحكم هذا الكون الفسيح من الذرة إلى المـجرة عناية بكل كـائن، وهدف لكـل حركـة فـيـه . . . ألا يدل ذلك على وجود الله الخالق المبدع ـ جل فى علاه .

ثم ألا يدل ذلك على أن الملاحدة الـمنكرون لوجود الله ـ تعالى ـ مرضى يحتاجون إلى علاج إن شئت قل إنهم مخبولون أو أنهم يعانون من أمراض نفسية .

وهذه الأرض:

ثم إذا ولينا وجهنا شطر الأرض الحنون، والتى تحـملنا ولا تتعب وتطعمنا وتسقينا وتعطينا . . .

ترى مـاذا يقـول العلم عن هذه الأرض، مـوقـعهـا، ودورانهـا، وكـثافـتهـا، واستـقـرارها، وهوائها، ومـائهـا، وكنوزها، ونباتهـا، وأزهارها. . . لترى فيها العجب من الدقـة والتصميم المقصود، وآثار القـدرة المقـتدرة، والحكمـة الظاهرة، والعلم المحـيط، والرحـمة السابغة . . .

إنها تدور حول نفـسها فيكون من ذلك تتـابع الليل والنهار، وتدور

---

(١) يس الآية: ٣٧ ـ ٤٠ راجع: العـقيـدة الإسلاميـة فى ضوء العلم الـحديث ص ١٤٥ د. سعد الدين صالح ـ ط٢ ـ دار الصفا ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م .

حول الشمس مرة فى كل عام. ويحـيط بها غلاف غازى يشتمل على الغازات اللازمة للحـياة، ويبلغ هذا لغلاف الغازى من الكثـافة درجة تحـول دون وصـول الملايـين من الشـهب القاتـلة، والتى تأتى من الكواكب الأخرى .

ويعتبـر كوكب الأرض هو الوحيد الذى يحتـوى على غلاف جوى صالح للـتنفس، فالقمـر ليس له غلاف جـوى، وكوكب الزهرة فـيه غلاف جوى مؤلف من كـبريت الهيدروجين، والمريـخ غلافه الجوى معظمه من غاز الفحم وهكذا . . .

إن هذا الغلاف مهمته الأساسية درء الخطر من الأشعة الخطرة على الحياة، والتى تصـدر من الشمس، وهو فى نفس الوقت يحافظ على حرارة الأرض، وهو هام فى استخـدام وسائل النقل الجوية، إذ لولاه لتعذر طيرانها[١] .

ثم إن هذه المحيطات والبحار والنهار الممتدة فى أنحاء الأرض لها وظائف أساسية، وبـدونها تتعذر الحياة على الأرض تمـاماً، وقد تبين من خلال دراسـات فلكية حديثة أن المـاء لا يوجد إلا على الأرض، وأن كلا من عطارد والزهرة والمريخ والقمر لا ماء فيها، وكذلك زحل وأورانوس ونبتون هى كرات غازية، وأن كواكب المجموعة الشمسية ـ باستثناء الأرض ـ لا يوجد فيها نبات أو حبوان، أى لا حياة فيها[٢] .

---

(١) الإيمان بالله ص ٣٦ وما بعدها .

(٢) الطب الإسلامى ص٤٨، ٤٩ د. محى الدين طاو العلبى دار ابن كثير ـ ط١ ـ دمشق ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م.

وعلى هذا يتبين لنا أن الأرض هيأها الله ـ سبحانه ـ للحياة وهو العليم الخبير ـ للحياة .

ولو كانت الأرض على صورة أخرى غير التى عليها لاستحالت الحياة عليها، وهذه بعض الأمثلة :

١ ـ لو كان حجم الأرض أقل مما هى عليه الآن لقلت الجاذبية فيها، وما استطاعت أن تمسك الماء والهواء من حولها، كما هو الحال فى القمر .

٢ ـ لو أزيحت الأرض إلى ضعف بعدها الحالى عن الشمس لنقصت كمية الحرارة التى تتلقاها من الشمس إلى ربع كميتها الحالية، وقطعت الأرض دورتها حول الشمس فى وقت أطول، وتضاعف تبعا لذلك طول فصل الشتاء، وتجمدت الكائنات الحية على سطح الأرض[1] .

٣ ـ تدور الأرض حول محورها مرة كل أربع وعشرين ساعة، ومعنى ذلك أنها تسير حول محورها بسرعة ألف ميل فى الساعة، ولو قلت سرعتها لزادت درجة الحرارة بصورة تستحيل معها الحياة .

٤ ـ الأرض لها سمك معين، ولو كانت قشرة الأرض أكثر سمكا مما هى عليه الآن لما وجد الأكسجين إذ أن القشرة الأرضية ستقوم بامتصاصه، ومن هنا: تصعب عليها الحياة .

٥ ـ الغلاف الهوائى الذى يحيط بالأرض لو كان ألطف مما هو

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم، ص ٨ .

عليه الآن لاخترقتها الشهب والنيازك ولاحترقت الأرض، ولتسأل الملاحدة من الذى قدر كل هذه التقديرات ؟ ومن الذى نظم هذه الحركة الدقيقة في الكرة الأرضية ؟ ومن الذى هيأها لحياة الإنسان . . . ؟

﴿ أمن خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأنبتنا بها حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾[1] .

﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون. وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون. ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون. سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾[2] .

وهذا الإنسان :

يتكون الإنسان أول خلقه من نطفة، ثم تتحول النطفة إلى علقة ومنها إلى مضغة، ثم ينفخ الله فيها الروح، وتتم هذه الأطوار فى رحم الأنثى، وبين كل طور وطور بضعة أسابيع، وهذه فترة يسيرة نسبيا إذا ما قورنت بالحساب الزمنى لعمر هذا الكون .

وفترة الحمل تمر بأطوار تصل إلى تسعة أشهر، وهنا يرد هذا السؤال لم لم يخلق الله الجنين مرة واحدة متكامل الخلق متسق

---

(١) النمل الآية: ٦٠، ٦١ .

(٢) يس الآية: ٣١ ـ ٣٦ .

التجسيم واضح الأجهزة والمعالم ؟

لعل الإنسان يدرك - بداهة - أن الجسد لا يقبل دخيلا عليه، لذا فإن دخول النطفة فى الرحم يحدث تغيرات مروعة واضطرابات فسيولوجية هائلة، ولذا نرى الأم فى الأسابيع الأولى من الحمل تكابد وتقاسى وتعانى من آلام وأوجاع فى أماكن متفرقة من جسدها وتشعر بالهبوط والكسل والخمول، والعصبية أحياناً . . .

ومن هذا المنطلق، ومن أجل هذا كله كانت رحمة الله بالأنثى وشفقته بها أن يتدرج الجنين شيئاً فشيئاً فى بطنها، حتى يمكنه التعود عليه وتقبله، ومما لا شك فيه أن ذلك رحمة من الله **﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾**[1] .

إن الإعجاز الخلقى فى الإنسان ليفوق كل تصور، جعل الكثير من العلماء يقفون مبهورين أمام هذا الإعجاز، الذى دبرته القدرة الإلهية.

خذ على سبيل المثال أنامل الإنسان وما فيها من ثنيات ونتوءات على جلد أطرافها، وتوجد بهذه الثنيات والنتوءات ثقوب مجهرية دقيقة، لا تراها العين المجردة، وهذه الثقوب المجهرية تنتهى إلى قنوات الغدد العرقية الموجودة تحت الجلد وبواسطة حبر خاص تتم بصمات الأنامل، وتؤخذ البصمات على ورقة خاصة، وبالتأمل الدقيق فى هذه الأنامل نجدها تحتوى على أقواس أو لولبيات أو حلزونيات

---

(١) العنكبوت الآية: ٤٣، ينظر: الإعجاز الطبى فى القرآن ص ٥٧، ٥٨ د. السيد الجميلى دار النصر - بيروت .

(١) المرجع السابق ص ٦٨ .

أو لفائف وعصى، وقد تكون مركبة من هذه وتلك وفى اختلافها من شخص لشخص آخر معجزة من معجزات الله ـ تعالى ـ فى خلقه، ظاهرة لا تقبل التكرار من شخص لآخر مهما اختلفت الظروف والأسباب[١] .

وهى فى كل شخص فينا سر خاص، وخالص فى نفس الوقت، يسفر عن ظاهره وباطنه، ويعطيه سمتاً معيناً .

وصدق الله العظيم ﴿ **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾[١] .

وليست بصمات الأنامل فقط، ولكن بصمات أصابع القدم كذلك لها نفس الطابع الإعجازى، ولعل هذا هو الذى مكن المسئولين من محاصرة المجرمين والعابثين بالأمن والمهددين للإستقرار وبالبحث عن هؤلاء المشبوهين وتطابق بصماتهم يتم محاكمتهم .

إنها حكمة بالغة تحتاج إلى وقفة من الإنسان، وسبحان من وسع كل شئ علما[٢] .

وهناك مسألة تحتاج إلى وقفة ألا وهى تكوين الإنسان من نطفة الرجل والمرأة معاً، ترى ما هو السبب من ذلك؟ إن الجواب واضح جلى .

هب أن إنساناً أعطى كل شئ من مال وقصور وصحة، وشهرة وجاه ... حتى لا يكون له عمل أو شغل يلهيه، ألا تضيق عليه الدنيا بما رحبت إذ ينظر يمنة ويسرة فلا يجد إنساناً بجانبه يناجيه، ويرتاح إليه فى وقت الرخاء والشدة، تتحد بينهما الأشياء... ومن هنا كانت

(١) الذاريات الآية: ٢١ .

(٢) نفسه ص ٦٩ .

حكمـة الله فى أن أوجد الله المـرأة ليسكـن إليهـا الرجل ويسـتـريح، فجعل فيـها القرار المكين، وجعل فى الرجل الماء المـهين، وجعل الولد فى النطفة الأمشاج (النطفة المختلطة) .

﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾[1] .

دع هذا كله وانظر إلى الروح، ذلك الشئ الذى يحتـوينا ولا نعيش بغيره إنه قريب من أنفسنا إن لم يكن هو هاتيك النفوس :

إن الإعجـاز الإلهى فى هذه القضيـة أبلج يسـتـعصى على الإدراك، لكن الإعجـاز والغرابة من الإمـتناع على شدة القـرب، نحن لا نرى شعاع الكهـرباء، مع أنها تسرى فى السلك، ولكن نرى إشعـاعها من خلال ضوء المـصباح الكهربائى، وهذا إثبـات لوجودها وتأثيره، مع أننا لا نراها وهى تجـرى فى السلك فكلما أوغلنا فى البـحث فى هذه القضية بالذات ازداد الغموض وصدق رب العزة :

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمـر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾[2] .

ومـا زال العلـم يكشف كل يوم من إبداع الله فى خـلق الإنسـان، وصدق رب العالمين :

﴿ سنريهـم آياتنا فى الآفـاق وفى أنـفـسـهم حـتى يتـبـين لهم أنه الحق ﴾[3] .

---

(١) المؤمنون الآية: ١٤ ينظر: الإنسان هذا الكائن العجيب ١٣٦٧/١ د. تاج الدين محمود الجاعونى ـ ط١ ـ دار عمان ـ عمان ١٩٩٣ م .

(٢) الإسراء الآية: ٨٥ ـ وينظر الإعجاز الطبى ص ٩٦ .

(٣) فصلت الآية: ٥٣ .

وهذا الحيوان :

إن عالم الحيوان عالم عجيب، ملئ بالأسرار. الأنعام مصانع دائمة للألبان، ومستودعات قائمة للحوم، ومخازن للأصواف والأشعار، ويصنع الإنسان المتمدن فيها كسوته وفرشه وله فيها مآرب أخرى . . .

أما النحل فإنه صيدلى حازق، ينهمك فى جنى السكر الشهى من كؤوس الأزهار .

انظر إلى غرائز الحيوان، وطاقاته، وإشاراته، وتكاثره، وهجراته، ومواهبه، وإبداعاته، وترنيماته . . .

كيف ينظم النحل مملكته وحياته بصورة يقف العقل أمامها عاجزا. إنه صيدلى حازق، ينهمك فى جنى السكر الشهى من كؤوس الأزهار، ثم يقوم بامتصاصه وتحويله من خلال عمليات معقدة إلى عسل شهى لذيذ هو شفاء لكثير من الأمراض بشهادة القرآن الكريم والطب الحديث .

إن الحشرات تمتلك طاقات هائلة بالمقارنة إلى أوزانها وأحجامها، فقفزة الجندب قفزة خيالية إذا ما قورنت بحجم الإنسان لكان باستطاعة الإنسان أن يقفز من علو ٦٠٠ قدم أى من فوق عمارة ذات عشرين طابقا .

والخفاش يطلق ذبذبات صوتية سريعة تصطدم بالعوائق، وترتد محددة له مساره أثناء الطيران، إذ يميز بإنعكسات الذبذبات نوع العائق الذى يعترض طريقه، فينحرف من خلال سيره، ولا يصطدم به، وعندما قلد الإنسان تلك الذبذبات، والتقط إنعكاساتها، اخترع الردار.

وللحشرات عيون ميكروسكوبية مكبرة، بينما يتمتع الصقر ببصر تلسكوبى مقرب، والنحلة ترى الأزهار بالضوء الفوق بنفسجى، والكلب يملك أنفا عجيباً إذ يحس رائحة الحيوان المار به عن بعد .

ويوجد حيوان مائى يسمى (الجنكليس) لا تضع أنثاه نسلها إلا بعد أن تغادر المياه العذبة نحو البحر، وذلك فى عمق ٤٥٠ م إذ يفقس البيض، ويصعد الصغار إلى سطح الماء بالملايين، وتبدأ رحلة تقطع فيها خمسة آلاف كيلو متر عائدة إلى مواطنها الأصلية، فبعضها يعود إلى أنهار أمريكا، وبعضها يعود إلى أنهار أوربا، وتحير العلماء فى تلك القوة الخفية التى توجه هذه الصغار إلى مواطن أمهاتها كيف تفرق الأوربيات مواطنها ولا ترحل مع الأمركيات وكيف لا يحدث العكس .

إن أنثى الفراشة ترسل إشارات خفية يتلقاها الذكر من مسافات بعيدة ويجاوبها، فهل للأنثى محطة إذاعة ؟ وهل للذكر جهاز راديو عقلى يتلقى الإهتزاز فوق الصوتى عن بعد، ودون سلك لاقط للصوت ؟

وهناك طيور تعمل بمثابة وكالات أنباء تذيع الأخبار لحيوانات الغابة[١] .

يقول الدكتور عبد الإله أبو عياش :

« ما الذى يحكم علاقات هذه الآلاف من الممالك وبلايين من

---

(١) الإيمان بالله ص ٤٢ وما بعدها بتصرف .

الكائنات الحيـة ؟ وكيف تستطيع الحياة فى لجـة الصراع والتنازع من أجل البقاء والمحافظة على النوع؟ ومـا هذا الذى يسميه العلماء غريزة وفطرة ؟ وما هذه الأنظمة الدقيـقة التى تنظم الروابط فى هذا التسلسل الإبداعى ؟ ومـئـات بل آلاف الأسـئلة التى تتـزاحم وتحـير أدمـغـة العلماء[١] .

ويقف الإمام ابن القيم متأملا فى شأن النملة فيقول :

« تأمل هذه النملة الضعيفة ومـا أعطيته من الفطنة والحيلة فى جمع القوت وادخـاره وحفظه، ودفع الآفـة عنه، فإنك ترى فى ذلك عـبراً وآيات .... ومن عـجيب أمر الـفطنة إذا انقلت الحب إلى مسكنـها كسرته لئـلا ينبت، فإذا كان ممـا ينبت الفلقتان منه كسـرته أربعا، فإذا أصابه ندى وبلل، وخافت عليه الفسـاد أخرجته للشمس، ثم ترده إلى بيوتها، ولهـذا ترى فى بعض الأحيان حبـاً كثيراً على أبواب مـساكنها مكسراً، ثم تعود عن قريب فلا ترى منه واحدة »[٢] .

وهذا هو صـاحب الكشاف الإمـام الزمخشـرى يحدثنا عـن عالم الحشرات متأملا قدرة الخالق وإبداعه فى هذا العالم العجيب فيقول:

« ربما رأيت فى تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد إلا تحركها .

فإذا سكنت فالسكون يواريها، ثم إذا لوحت لهـا بيدك حادت عنها وتجنبت مضـرتها، فسبـحان من يدرك صورة تلك وأعضـائها الظاهرة

---

(١) مجلة العربى عدد «٢١٧» ١٩٧٦ عرض لكتـاب «غرائب من مملكة الحيوان» د. صبرى القبانى .

(٢) مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم ص ٢٤٢ ـ ط دار الإفتاء ـ السعودية .

والباطنة وتفاصيل خلقتها، ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها، ولعل في خلقه ما هو أصغر منها وأصغر، سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون »[١] .

وفى النهاية نقول:

إن هذه الدقة فى الصنع لابد لها من صانع يتصف بالعلم والقدرة والإرادة، فمن الذى ألهم هذه الكائنات، ونظم لها حياتها إنه الله الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ؟

وهذا النبات :

وإذا انتقلنا إلى النبات يطول بنا المقام ولكن حسبنا هذه الوقفة السريعة أمام هذه النباتات التى تفوق الحصر والتى تخرج فى الصحراء بلا ماء ولا رعاية، من الذى يرعاها ؟ ومن الذى يحافظ عليها ؟

﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ﴾[٢] .

﴿ إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون ﴾[٣] .

---

(١) تفسير الكشاف للإمام الزمخشرى ١/٥٧ - المكتبة - التجارية الكبرى - مصر - ١٣٥٤ هـ .

(٢) الأنعام الآية: ٥٩ وينظر العقيدة الإسلامية فى ضوء العلم الحديث ص ١٤١ .

(٣) الأنعام الآية ٩٥ .

﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه، آنا صببنا الماء صباً، ثم شققنا الأرض شقاً، فأنبتنا فيها حباً، وعنباً وقضباً، وزيتوناً ونخلاً، وحدائق غلباً وفاكهة وأباً، متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾[1] .

والنباتات قديمها وحديثها يستفيد منها الإنسان مباشرة أو بطريق غير مباشر ثمرها لغذائه، وساقها لسياراته، وزهرها للنحل الذى يشرب منه الإنسان العسل، وهى أيضاً غذاء للحيوانات التى يأكل لحمها، ويشرب لبنها، ويتعمل صوفها لثيابه، ويستخرج منها الدواء، ويصنع منها الأدوات .

أو ليس فى هذا كله الدليل الكامل على أن هناك ذاتاً رتبت هذه النعم كلها للإنسان، وأوجدت الإنسان له[2] .

---

(١) سورة عبس الآيات: ٢٤ ـ ٣٢ .

(٢) الله جل جلاله ص٨٤ وما بعدها .

مناقشة الملاحدة فى زعم المصادفة

جاء فى مختار الصحاح أن المصادفة لفظ عربى مشتق من الفعل صادف ومعنى صادف أى وجد، نقول: صادفت فلانا فى الطريق: أى وجدته دون قصد[1] .

ويرى الملاحدة أن هذا العالم الذى نعيش فيه بسمائه وأرضه إنما وجد بمحض المصادفة والاتفاق .

خذ على سبيل المثال قول هكسلى :

« لو جلست ستة من القرود على آلات كاتبة، وظلت تضرب على حروفها لملايين السنين فلا نستبعد أن نجد فى بعض الأوراق الأخيرة التى كتبوها قصيدة من قصائد شكسبير . !

فكذلك كان الكون، الموجود الآن، نتيجة لعمليات عمياء، ظلت تدور فى المادة لبلايين السنين »[2] .

والعجيب أن الملاحدة لا يقفون عند القول بالمصادفة وإنما راحوا يشرحون هذه المصادفة ويوضحونها ويضربون لها الأمثلة من هنا وهناك، مدعين أن هذه المصادفة المزعومة هى التى وفقت بين الموجودات، ونظمت المتناثرات، وألهمت المخلوقات والأحياء، وصنعت السيارات . . . وقننت القوانين، حتى أن بعض هؤلاء الملاحدة يضرب مثلا لهذه الصدفة فيقول :

---

(١) مختار الصحاح للجوهرى مادة: صدف .

(٢) الإسلام يتحدى ص ٩٩ .

« لو أن صندوقاً من الحروف الأبجدية يعاد تنضيده مئات المرات وآلاف المرات وملايين المرات على امتداد الزمان، الذى لا تحصره السنون ولا القرون، فلا مانع أن هذه التنضيدات تسفر فى مرة من المرات إلياذة هوميروس أو قصيدة من الشعر المنظوم وهكذا الكون المادى هو مجرد مصادفة »[1] .

وبداية، وقبل أن نناقش الملاحدة فى أقوالهم نقول :

إن القول بالصدفة فى خلق هذا الكون أمر لا يتصوره إنسان عاقل، فضلاً عن أن يدعى العلم .

حين نقرأ أو نسمع نشرة أخبارية، هل من المعقول أن نقول - أو يقول أى إنسان - إن الحروف فى هذه النشرة قد تجمعت عن طريق المصادفة، وكونت هذه الأخبار الواقعية المعقولة ؟

إذ كنا لا نصدق ذلك فهل يتصور إنسان عاقل أن الصدفة أبدعت هذا الكون بما فيه من مظاهر الإبداع والنظام والتنسيق ؟

إن نظرية المصادفة التى يقول بها أولئك الملاحدة لا نرى لها دليلا عندهم، وكل ما قدموه لنا ما هو إلا ضرب لأمثلة .

وهذه الأمثلة هى فى الواقع تهدم فكرتهم من أساسها .

لقد افترض هكسلى « وجود قوة معينة تحاول الوصول إلى غرض معين هى القرود، كما افترض وجود مكن منظم عليه حروف، وافترض أن الحروف كاملة، وافترض وجود معانى مسبقة لهذه الحروف .

---

(١) كتاب « الله » للأستاذ عباس محمود العقاد ص ٢١٥ .

إذن يبدو من كلام هكسلى أنه يفترض وجود قوة تقوم بهذا العمل، وأن هذه القوة فعلت بعشوائية وبدون قصد، ولو عدنا إلى هذه القوة نلاحظ أن واقعها - فى حقيقة الأمر - يهدم العشوائية والمصادفة من أساسها ذلك إن كل ذرة فى هذا الوجود تسير بحساب دقيق ينفى أى أثر لهذه المصادفة المزعومة[1] .

ولعمرى كيف يتم ذلك التوافق الذى يزعمه « هكسلى » وصاحبه الذى يرى أن التنضيدات من الممكن أن تسفر عن إلياذة هوميروس أو قصيدة شعر .

إن هذا ضرب من السخف واللغو ليس إلا . . . !!

يقول البروفيسور إيدوين كونكلين :

« إن القول بأن الحياة وجدت نتيجة حادث إتفاقى شبيه فى مغزاه بأن نتوقع إعداد معجم ضخم، نتيجة إنفجار صدفى يقع فى مطبعة »[2] .

إن هذا الملحد الذى يفترض وجود الصندوق المليء بالحروف الذى يسفر فى النهاية عن قصائد شعرية - كما يتوهم - فاتته أشياء كثيرة :

١ ـ فاته أنه قدم الفرض بوجود الحروف المناسبة التى ترتبط بعلاقة اللفظ، وينشأ فيها الكلام المفهوم فمن أين له تلك الأجزاء المتماسكة، ومن أين للمادة هذا التنوع فى الأجزاء ؟

ومن أين لهذا التنويع أيضاً أن تكون فيه قابلية الإتحاد على ذلك الوجه المفهوم ؟

---

(١) العقيدة الإسلامية فى ضوء العلم الحديث، ص ١٤٦ .

(٢) الإسلام يتحدى، ص ٩٩ .

٢ ـ فاته أيضاً أنه قدم الفرض بوجود القوة التى تتولى هذا التنسيق والإشراف على هذا التنفيذ، وليس من اللازم ـ عقلاً ـ أن توجد هذه القوة بين الحروف ».

٣ ـ فاته كذلك أنه فرض فى هذه القوة أنها تعيد تنسيق الحروف على كل الاحتمالات كأنها تعرف بداءة كيف تكون هذه الاحتمالات .

٤ ـ كما فاته أيضاً أن الوصول إلى تنضيدة منظومة لا يستلزم الوقوف عندها وتماسك الأجزاء تعليها فلماذا تماسك الكون بعد أن وجد مصادفة وإتفاقا ولم يسرع إليه الخلل[١] .

إن الصدفة لا تسير على نظام أو ترتيب أو تنسيق .

إن العقل البشرى يوقن ـ بدون تلقين أو تعليم ـ أن لكل شئ سبباً، وأن كل فعل له فاعل، وأن كل أثر له مؤثر وأن شيئا لا يمكن أن يصدر من غير سبب، وتلك حقيقة بدهية نلمسها من أنفسنا، ولذا نرى أن الأطفال الصغار كثيراً ما يسألون عن سبب كل شئ من الجزيئات التى حولهم، ومن هؤلاء الأطفال من يرهق والديه بكثرة الأسئلة عن الأسباب حتى يقف عند السبب المقنع، كل ذلك لأن عقل الإنسان ـ بفطرته التى خلق الإنسان عليها ـ يؤمن بالسببية فى حدوث الأشياء، ولا يؤمن بالوجود العشوائى المعتبط[٢] .

كلمة العلم :

١ ـ يقول العالم جون « كليفلان كوثران » : وقد أثبت اكتشاف

---

(١) الله للأستاذ العقاد صـ٢١٦ .

(٢) وجود الله ص٨٤ د. يوسف القرضاوى ط٣ ـ مكتبة وهبة ـ ١٩٩٠ م .

تركيب الذرة أن التفاعلات الكيماوية التى نشاهدها، والخواص التى نلاحظها ترجع إلى وجود قوانين خاصة، وليس محض مصادفة عمياء»[١] .

٢ ـ وهذا هو الدكتور « واين أولت » يقول: « هل تم إختراع جهاز الراديو نتيجة المصادفة أم عن طريق التصميم والإختراع؟ ثم هل تم تكوين جهاز الرادار الموجود بجسم الوطواط، والذى لا يحتاج من الحيوان إلى انتباه، ولا يتطلب منه اصلاحا، والذى يستطيع أن يورثه لذريته عبر الأجيال؟ نقول: هل تم كل ذلك عن طريق المصادفة أم عن طريق التصميم والإبداع ؟ إن الخبرة العلمية للإنسان تقوم على التصميم وعلى إدراك الأسباب، وعلى ذلك فإن المشتغل بالعلوم هو أول من يجب عليه التسليم منطقيا بوجود عقل مبدع، لا حدود لعلمه أو قدرته ـ موجود فى كل مكان ، يحيط مخلوقاته برعايته، سواء فى ذلك الكون المتسع أو كل ذرة أو جزئية من جزئيات هذا الكون الانهائية فى تفاصيلها الدقيقة[٢] .

٣ ـ ويسخر العالم الرياضى الكبير جوزيف برتند « من أصحاب الصدفة فيقول : « إن المصادفة ليس لها وجدان ولا ذاكرة »[٣] .

٤ ـ وأعلن رئيس معهد الكيمياء الحيوية فى روسيا « الكسندر أو بارين ـ بعد أن ظل يبحث عن أصل الحياة، وعما إذا كان من الممكن إيجاد الخلية الأولى عن طريق تفاعل كيماوى ـ قائلا: « إن الحياة لا يمكن أن تبدأ من العدم، أو أن تتوالد من التفاعل الكيماوى

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٢٣ .　(٢) المرجع السابق، ص ١٣٢ .

(٣) الطب فى محراب الإيمان ص ١٤ د. خالص كنجو .

والتوالد الذاتى، وأن العلم لا يـمكن أن يخوض فيمـا وراء حدود المادة »[1] .

حقاً إن الحـقائق العلمية لا تعارض بينهـا وبين ما جاءت به الكتب الآلهية السليمة، التى أنزلها الله على رسله .

إن هذيان الملاحدة فى قولهم بالصـدفة يعد من أبلغ البراهين على وجود الله، فما كان للعقل الإنسانى أن يتعطل عن الاهتداء إلى أوضح شئ أمامه، لو أنه سـار سيرا آلياً، أما وقد جنح صاحـبه إلى الإلحاد فاستكبر عن التأمل المنصف، فـإنه لأكبر دليل على أن هذه القوة إنما هى من تدبير العلـيم الحكيم، الذى أوقفهـا عن الإنتاج فى رأس هذا المستكبر، جزاء صلفه واستكباره ، وصدق الله ﴿ **سأصرف عن آياتى الذين يتكبـرون فى الأرض بغـيـر الحق، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بهـا وإن يروا سبـيل الرشد لا يتخـذوه سبيـلا وإن يروا سبيل الغى يتـخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين** ﴾[2] .

أن الكون آية فى الجـمال والنظـام والإتقان، فـهل يمكن أن يكون هذا بمحض الصـدفة العشوائيـة، لعل هذا ما جعل العالم الـمعروف «باسكال» يقول:

« صنفان فقط يجوز أن نسميـهم عقلاء: الذين يعرفون الله، والذين يجدون فى البحث عنه لأنهم يعرفونه »[3] .

---

(١) المرجع السابق ص١٣٢ .

(٢) الأعراف الآية: ١٤٦، وينظر: كبرى اليقينات، ص ٩٥ .

(٣) أصول الدين الإسلامى، ص ٩٣ .

ويقول هرشل: « إنه كلما اتسع نطاق العلوم زادت البراهين الدامغة على وجـود خالق أزلى لا حـد لقدرته ولا نهـاية، فالجـيولوجـيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا على تشييد صرح العلم، وهو صرح عظمه الله وحده »[1] .

إن العلم الحديث قد أغلق ـ إلـى الأبد ـ باب القول بأن الكون قد وجد عن طريق الصـدفة، حتى إن علمـاء الرياضة ضربوا الكثـير من الأمثلة التى تبطل هذه النظرية التى لا يقول بها إنسان عاقل .

« يقول الأستاذ كريس موريسون : « خـذ عشرة بنسات ، كلا منها على حدة، وضع عليهـا أرقاماً مسلسلة من (١) إلى (١٠) ثم ضعـفها فى جيبك، وهزها هزاً شديداً، ثم حاول أن تسحبها من جيبك حسب ترتيبها من (١) إلى (١٠) إن فرصـة سحب البنس رقم (١) هى بنسبته إلى (١٠) وفرصة سـحب رقم (١) ورقم (٢) متتابعـين هى بنسبة (١) إلى (١٠٠)، وفرصـة سحب البنسات التى عليهـا أرقام (١، ٢، ٣، ٤) متتالية هى بنسبة (١/ ١٠٠٠٠) وهكذا حتى تصبح فرصة سحب البنسـات بترتـيبـها الأولى من (١) إلـى (١٠) هى بنسبـة (١ إلى ١٠ ملايين)[2] « والغرض من هذا المثل البسيط أن يتبين لك كيف تتكاثر الأعداد بشكل هائل ضد المصادفة »[3] .

ويضرب الرجل مثالا آخر فيقـول: « ولنفرض أن معك كيساً يحوى مائة قطعـة رخام، ٩٩ منها سوداء، وواحدة بيـضاء، الآن هز الكيس

---

(١) المصدر السابق . (٢) الإيمان والحياة، ص ٢٣٨ . (٣) المصدر السابق .

وخـذ منه واحـدة، إن فرصـة سـحب القطعـة البـيـضاء هى بنسـبـة (١إلى ١٠٠)، أعد قطع الرخام إلى الكيس، وابدأ من جديد .

إن فرصة سحب القطعة البيضاء مرتين متواليتين هى بنسبة واحد إلى عشرة آلاف (١٠٠ × ١٠٠) .

والآن جرب مرة ثالثة :

إن فرصـة سحب تلك القطعة البـيضاء ثلاث مـرات متتـاليات هى بنسبة (١٠٠ × ١٠٠٠٠) أى واحد فى المليون، ثم جرب مرة أخرى أو مرتين تصبح الأرقام فلكية .

إن الأمثلة التى يضربها علماء الرياضة رداً على زعم المصادفة تدلنا بوضوح على أن ما يحدث بالمصادفـة يصعب جداً أن يتكرر ويستحيل أن يستمـر وقوعه، وكل ما نراه من ظواهر طبيـعية، تتجدد باستمرار وتتكرر بانتظام، وتمضى دون خل أو اضطراب، وحين تنطق الحقائق هكذا وبهـذه الدقة، ألا يكون من الخـبل والسفـه أن نرد الحيـاة وما فيها، والنظام والـتقدير والتسوية فى هذا الكون إلى الصدفـة العمياء ـ كما يتوهم الملاحدة[1] .

لا يبقى بعد ذلك إلا أن نقول بكل ثقة: أن قـول الملاحدة بالصدفة مرجعه الأسـاسى هو الهروب من الحقيقـة التى يفرون منها، وهى أن لهذا الكون محدث وموجد « فهل من خالق غير الله . ؟! »[2] .

---

(١) نفسه ص ١٩١ . (٢) وجود الله ص٩٠ د. يوسف القرضاوى ـ مكتبة وهبة .

حماقة الملحدين

وقف أحد الملاحدة الماركسيين يوماً فى إحدى المحطات فنادى : « الله » إن كان موجوداً لينسفن هذا البلد، وليمحون تلك الدولة أو فليعلم الناس ـ جميعاً ـ أنه خرافة لا وجود لها[١] .

إن هذا الملحد لا يفهم من تحديه للإله إلا أن الألوهية سلطة غاشمة يسيرها التحدى، لا يسعها إلا أن تظهر قدرتها أو تنزل عن كل حق فى إثبات وجودها .

هذا الملحد الماركسى لا يعقل أن يوجد الإله ويقدر على كل شىء ثم يترك من يتحداه سليماً بعد ذلك طرفة عين، دون أن ينكل به ويعجل برد تحديه له.

وأى شىء يمنع السلطة الغاشمة أن تبطش بمن ينكرها، لا يمنعها ـ عنده ـ إلا مانع واحد ، وهى أنها كما قال ذلك الملحد الماركسى خرافة ليس لها وجود .

هذا هو الفهم الوحيد الذى يفهمه لمعنى الألوهية، وهو يحسب أنه قد أفحم به المؤمنين بالله .

وإلا فكيف يتفوه بذلك التحدى عاقل يفهم أن الألوهية سلطة لها نظام ولها حكمة ولها مشيئة ؟

ومن كان يفهم أن الألوهية لها حكمتها ومشيئتها وسلطانها فمن اليسير عليه أن يعلم أنه لا يهزها بتحديه فيخرجها عن النظام والحكمة.

---

(١) الإسلام والحضارة الإنسانية للأستاذ عباس محمود العقاد ص٦٣ ـ المكتبة المصرية ـ بيروت .

قد يسع الطفل الصغير أن يكف عن مثل هذا التحدى لأبيه إذا عرف أن أبيه عاقل حكيم، لا يمكن للطفل الذكى أن يقول لأبيه: إن كان لك قدرة فاضرب فلاناً حتى يهلك أو انهض بهذا الحمل حتى آمرك أن تلقيه .

من اليسير على الطفل الذكى أن يدرك أن أباه خليق لا يجيب هذا التحدى على هواه، ولا ينفى ذلك عنه أنه ذو قدرة، وأنه يستطيع أن يهلك فلاناً وأن ينهض بالحمل المقصود .

فالملحد الماركسى أسخف من الطفل حين يخطر له أن يتحدى إلهاً حكيماً، فيزعم أنه غير موجود .

ومن كان يفهم الألوهية على أنها سلطة رشيدة فلن يتحداها أن تفعل غير ما أرادت أن تفعله منذ الأزل، وغير ما تريد أن تفعله إلى آخر الزمان، لأنه إذا استطاع بكلمة من كلمات التحدى والإستثارة أن يغير ما تأبى تغييره، فذلك هو البرهان الذى ينفى وجودها أو ينفى حكمتها على أقرب الفروض .

ولو شاء الله أن ينكشف وجوده للفكر والضمير كما تنكشف جميع الأشياء لجميع الأبصار لفعل ذلك بإرادته منذ وجدت الأفكار والضمائر والأبصار .

ومن الممكن أن يقول الملحد الماركسى :

ولم لا يشاء، ولم يترك الناس ينكرون ويثبتون أو يبحثون ويرتابون ولم لم يكشف لنا جميعاً حقيقة وجوده حتى يبطل الخلاف وينتهى الشك والضلال . ؟

إنها أسئلة لا تحتمل اللجاجة بعد قليل من التبصر والروية بل بعد قليل من التصور إذا استطاع السائلون أن يتصوروا كيف يكون هذا

الإيمان ؟

إن العلم بوجود الله كما نعلم بوجود المنظورات بالعين يلغى الضمائر والعقول، ويبطل جهود النفس الإنسانية فى امتحان الخير والشر والهداية والضلال .

والمعرفة بخاسة البصر يتساوى فيها الإدراك كما يتساوى إدراك الآلة وإدراك الحيوان، فهل يا ترى هذه معرفة تليق بالإنسان الباحث عن الهداية؟ وهل يتساوى الناس جميعاً فى مدركات الضمير أو مدركات الحواس أو ملكات الأجسام والأفهام ومقادير الأعمار والأيام . ؟

وهل هذا العالم الإنسانى كله يتألف من نسخة واحدة متكررة هو عندهم العالم المثالى المنشود وهو الذى تثبت به الحكمة الإلهية ؟

إن أدنى ذرة من التراب لا تعطينا حقيقتها الكاملة فى لمحة، ولا نستغنى فى عرفانها والانتفاع بها عن جهود العمل والتفكير والتحليل، وذلك لندرك عنها بعض ما يدرك وليس كل ما يدرك، وكل هذا لأننا نجهل كنه الذرة الترابية وغير الترابية إلى الآن ولعلنا سنجهل هذه الكنه فى قراره ومداه إلى ما شاء الله .

إن الشمس - على جلائها - لتخفى عليهم بعد أن خفيت على الأقدمين الذين حسبوها قرصاً، وأصبحوا يعرفونها اليوم أكبر من الأرض والقمر والسيارات .

كانوا يحسبون أن الشمس تدور فأصبحوا يعلمون أن الأرض هى التى تدور .

كانوا يجهلون سرعتها ومسافاتها فأصبحوا اليوم يعلمون كم هى بالدقائق وكم هى بالأميال ؟

إنهم يجهلون من الشمس أضعاف أضعاف ما عرفوه، ولا يزالون

يبحثون عن مصدر حرارتها، فيخلطون بين النقيضين فيزعمون أن الحرارة من تكوين العناصر، ومرة يقولون :

إنها من تفتيت العناصر وإنشقاقها ولا يدرون هل يندفع اللهب من باطنها إلى ظاهرها أم العكس؟ وما زالت العقول حائرة كليلة خاسئة وستظل .

وإذا كان الأمر كذلك فما بالهم يريدون من الحقيقة الإلهية أن تكون أقرب منالا من هذه الكائنات التي يدعون لها عظمة الربوبية، وما بالهم ينتظرون من حقيقة الحقائق أن تحيط بها لمحة عين، ويتكثرون السعى إلى غاية الحقائق !!

إن العلم بالله - تعالى - مطلوب، ولكن لا قيمة لهذا العلم إذا كان يلغى العقول ويعطل الضمائر ويبذل لمخلوق لا فضل له فى إدراك أقرب الحقائق وأبعدها .

إن بحث العقول والضمائر عن الله منتقد عن القوم وهو - فى نفس الوقت - غير مفهوم فلنقل لهم :

وما هو المفهوم المنزه عن الإنتقاد ؟

أهو إدراك الله بغير بحث ؟ أم هو الإستغناء عن البحث فى أمر الله وحده فى جميع الأمور ؟

وهل الإله - عندهم هو الإله الذى تقاد مخلوقاته الكبرى أو الصغرى بحبال الغريزة على غير فهم، ولا تمييز بين ما يظهر وما يخفى، وبين ما يكبر وما يصغر .

أهذا هو الإله عندهم؟ تعالى الله عما يصفون .

ليعلم هؤلاء - راغمين - أن الإله الذى لا يستحق البحث هو الإله الذى يأباه العقل السليم، وأن الإله الذى يطلبه الإنسان هو الإله الموجود[1] .

إن مقام الألوهية أعز مما يهرف به أولئك الملاحدة، وذات الله - جل فى علاه - أكبر أن تدركها عقول البشر أو تحيط بها الأفكار .

وجود الله - تعالى - هو أول الحقائق وأكبرها وأظهرها وقد دلت على ذلك الفطر والبصائر والعقول، وهدى إليه العلم والوحى والتاريخ، والذين جادلوا فى الله قلة مغمورة فى كل العصور، جرفتهم الشهوات وغلبتهم الغرائز، وتسلطت عليهم العصبية، فأنكروا وجود الخالق الأعلى، حتى لا يحاسبهم أحد، ولا يحاسبوا أنفسهم على التردى والإنغماس فى الشهوات .

وصدق من قال :

« لو أن البشر منذ أن كتب لهم تاريخ وإلى أن تهمد لهم على ظهر الأرض حركة نسوا الله وكفروا به، ما خدش ذلك شيئاً من جلاله، ولا نقص ذرة من سلطانه، ولا كف شعاعاً من ضيائه، ولا غض بريقاً من كبريائه، فهو - سبحانه - أغنى بحوله، وأعظم بذاته وصفاته، وأوسع فى ملكوته وجبروته من أن ينال منه وهم واهم وأجهل جاهل»[٢] .

إن العلوم تدرس آثار العناصر وخصائصها وقوانينها، أما حقيقتها فما زالت سراً من الأسرار .

وهذه حقائق مادية .

أيكون ذات الحق - عز اسمه - أبسط من حقيقة الأشياء المادية تستعصى حقيقة الكهرباء على العقول والعلم، ويظل علماً، ويريد الملحدون معرفة حقيقة الذات الإلهية !!!

---

(١) الإسلام والحضارة الإنسانية ص ٦٣ - ٦٧ بتصرف .

(٢) عقيدة المسلم ص ١٦ الشيخ محمد الغزالى - دار الدعوى ط٢ ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م .

وماذا عليهم لو آمنوا بالله ؟

إن الملاحدة يعلمون شيئاً اسمه المضاربة فى الأسواق، نعم إن حياتهم الإقتصادية تلعب فيها المضاربة دوراً كبيراً، فالأموال الهائلة الكثيرة الضخمة إنما مجالها الحيوى هو « البورصة » والمقامرة على موائد القمار وفى سباق الخيل والكلاب والحمام والمصارعة وغيرها تشغل عقول الناس فى أوربا وأمريكا . . . والسؤال علام يقوم تقدير المضارب أو المقامر ؟ أيقوم على نظرية علمية كتلك النظريات العلمية التى نعرفها، والتى يعرفها أولئك الملاحدة ويؤمنون بها .

الجواب الصحيح: لا .

ذلك أن نتائج المضاربات والمقامرات هى فى مجموعها احتمالية يقدر فيها المرء بالتخمين والرجم بالغيب - ترجيح جانب الربح على جانب الخسارة، وهذا الترجيح لا يستند على شئ اللهم إلا توقعات مجهولة أو إن شئت قل: مغامرة، حسن إذن :

لم يقامر الناس ويخسرون ؟ ولم المضاربة ؟ ماذا أخذوا من هذه المغامرة ؟

قد ترتفع الأصوات عالية: قد أصبحنا من أصحاب الملايين، وصرنا من أصحاب الشركات، وقد تعلو الأصوات الأخرى قائلة: إفلاسا ودمارا ويأسا وانتحارا، وسعيا إلى الخراب .

وهذه الأصوات الأخيرة هى فى مجموعها الجواب الصحيح لما حققته هذه المضاربة الخاسرة [١] .

---

(١) قضية الألوهية بين الفلسفة والدين ٢/ ٨٠ وما بعدها - عبدالكريم الخطيب ط ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م -.

إن الإنسان - بلا عقيدة - يرتد أسوأ وأرذل من الحيوان، لأنه يصبح بلا ضوابط، بلا أهداف ....

إنها نكسة أو رجعية بمقياس الزمن ذاته، ونحب أن نشير إلى أن هذه النكسة ليست وليدة هذا العصر بل هى وثنية قديمة .

يقول تعالى :

﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية، كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم، قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾[1] .

﴿ وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾[2] .

﴿ أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون ﴾[3] .

لقد خدع الناس فى الغرب خديعة ماكرة، وذلك حين ظنوا أنهم يستطيعون أن يعيشوا بعيدا عن الدين، ثم يظلوا ناجحين، ويتحدث الناس كثيراً عن الأخلاق فى الغرب ولنا أن نسأل :

أين هى الأخلاق فى جيل الغرب الناشئ اليوم ؟

عصابات الخطف والنهب والسرقة ... عصابات الحشيش والأفيون الآخذة فى الإزدياد ...

ناهيك بعد ذلك بالشذوذ الجنسى، الذى ارتبط بهذا المرض اللعين « الإيدز » الذى ثبت أنه يسبب نقص المناعة المكتسبة فى الجسم .

---

(١) البقرة الآية: ١١٨ .　　(٢) الجاثية الآية: ٢٤ .

(٣) الإسراء الآية: ٤٦، وينظر: التطور والثبات فى حياة البشرية ص ٢٥٧ محمد قطب ط ٩ - دار الشروق، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

ولعل هذه الضجة التى أثارها هذا المرض اللعين، والفزع الذى اعترى العالم الغربى بالذات، قد أيقظ العالم من سباته، ودق ناقوس الخطر ليعلن اللعنة على تلك الممارسات الشاذة، ويؤكد أهمية الإلتزام بالأخلاق والعودة إلى الدين الذى يدعوا الناس إلى العفة والطهارة .

إن هذا المرض اللعين يعد نكسة للبشرية التى كفرت بالله، وسخرت من الدين والأخلاق، وليس أدل على ذلك من قول لينين فى خطابه الذى ألقاه فى المؤتمر الثالث لمنظمة الشباب الشيوعى سنة ١٩٢٠ م .

« إننا لا نؤمن بالإله، ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والإقطاعيين والبرجوازيين لا يخاطبوننا باسم الإله إلا إستغلالا، ومحافظة على مصالحهم. إننا ننكر بشدة جميع الأسس الأخلاقية التى صدرت عن طاقات وراء الطبيعة غير الإنسان، والتى لا تتفق مع أفكارنا الطبقية، ونؤكد أن كل هذا مكر وخداع، وهو ستار على العمال الفلاحين والعمال »[1] .

ونحن نقول هنا للينين الشيوعى الذى يدعى أن الدين والأخلاق خدعة برجوازية .

هل كانت دعوة « غاندى » محرر الهند من الإنجليز - الذى دعا إلى الأخلاق الفاضلة دعوة برجوازية . ؟

وهل دعوة « سقراط » فيلسوف اليونان المشهور - إلى العلم الأدب

---

(١) الإسلام يتحدى ص ٤٠ .

والتمسك بالخلق بأسلوب فلسفي - دعوة برجوازية[١] . ؟

وبوذا الذى كان يقول :

« لا تسرق ولا تزنى، لا تقتل، لا تشرب الخمر، هل كانت دعوته أيضاً بروجوازية . ؟

وكذلك « نهرو » من مؤسسى إستقلال الهند الحديثة - الذى تبرع بكل ثروته لشعب الهند، وكان مضرب مثل فى الهند، هل كانت دعوته هو الآخر برجوازية . ؟

لقد أثبت الملاحدة أنهم سطحيون فى كتاباتهم، التى تدل على جهلهم بالتاريخ والأحداث المعاصرة، وحسبنا من هذه السطحية سقوط امبراطوريتهم « الإتحاد السوفيتى » .

لقد قضت الشيوعية نحبها فى مسقط رأسها، وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على أن العظمة لله وحده .

لقد خدع الناس فى هؤلاء القوم حين ظنوا أنهم يستطيعون أن يظلوا بعيداً عن الدين، ثم يظلوا متقدمين، والحقيقة أنها مرحلة من مراحل التطور لا تثبت، وكيف يثبت الناس على المنزلق . ؟ !

ولن تنهار الأمم فى أيام، ولكن يتضح الخط الصاعد والهابط من خلال الأجيال، ولعل شهادة القرن العشرين تقدم لنا الجواب الواضح . .

أجل : إنها نتيجة حتمية لمن كفر بالله وتمرد عليه، وسنة الله هى الحتمية الوحيدة فى الكون[٢] .

---

(١) البورجوازية : كلمة فرنسية تعنى طبقة الشعب التى تكون بين أصحاب المناصب والعمال، وتشمل طبقة النبلاء الأقدمين وكبار الممولين، وهى طبقة تعيش فى رغد وراحة، راجع توبة الملحدين، ص ٢٠٣ .

(٢) التطور والثبات، ص ٢٧٦ .

حياة الملحدين

إن حياة الملحدين - فى الحقيقة - مأساة متصلة، لا يعرفها تمام المعرفة إلا من يعيشها عن قرب .

ولنسمع إلى واحد منهم أفاق من غيبوبته وهو الفيلسوف « فيبرس جيلفرت » وهو يكشف لنا الغطاء عن هذه الحياة فيقول : « فى الواقع ماذا يفيد الإنسان علمه بالحوادث الطبيعية بجانب ذلك الإلحاد المؤلم الذى يجرنا إليه ضميرنا الفاقد لحرارة الحياة ؟

إن الحقد والعداء يزدادان يوماً فيوم فى نفوس أهل البأساء المحكوم عليهم بالفاقة إلى الأبد ... وإن جنوح البذخ والجبروت ينمو على قدر ذلك لدى أهل اليسار والغنى ... وهذا الإلحاد الآخذ فى ا لنمو يسوق الناس بعاطفة المساواة إلى حالة ثورية دائمة .

ولقد تكاتف العلماء والمهندسون والصناع والميكانيكيون على زيادة متاع الحياة الدنيوية زيادة عظمى ... ولكن لم يكن من نتيجة كل تلك المكتشفات إلا أن انتشر حب المال فى الطبقات السحيقة جداً ... فأى قانون أخلاقى يكفى لكبح جماح أهوائنا، وإدخالها إلى مجاريها الطبيعية المعتدلة ؟

لقد ذهب عنا الكمال المعنوى ولم يبق فينا إلا خوف مبهم من شئ غير مدرك .... لأن العقيدة بالله لا يمكن زوالها من النفس، فترى الذين لا إحساس لهم يستفيدون من وراء ما وقعنا من الظلمات، وترى العقول المستنيرة بالعلم المحروسة من الدين تعذرهم فى إرتكاب الجرائم ... وبهذا فقد أصبحت الشهوات غير واقفة عند حد .

كل هذا الفساد الخلقى الشديد الوطأة البعيد القرار الذى عم أجناسنا ناشئ من عدم وجود قاعدة دينية تصلح لإحداث الوحدة

والأخاء بين احتياجنا الدائم للعمل، وبين عاطفتنا للحب . . . . لذلك نرى ظلمات من الحزن والكمد آخذة فى الإسوداد كل يوم ملقية أطنابها على عالمنا »[١] .

إنها شهادة رجل عايش التجربة بكل أبعادها، وواضح أنها شهادة لم يدخل عليها هوى أو تعصب، بل أن الذى أخفاه الرجل من مخازى هذه المدنية الخداعة أكثر مما أظهره، بدافع الإعتزاز بمآثر قومه[٢] .

وكيف يتصور الإنسان مجتمعاً يتحرر من كل القيود الأخلاقية والمفاهيم الإنسانية ؟

ترى كيف يكون الحال فيه ؟ وكيف تكون علاقة الناس بعضهم ببعض ؟ إن أقل وصف يطلق على هذا المجتمع أنه مجتمع بهيمى فكراً وخلقاً وسلوكاً ومشاعر، ولا يرجى منه أى خير يقدمه للبشرية[٣] .

ولعل ما يؤكد كلامنا هذا هو قول الفيلسوف « كاميل فلامزيون » : « لا يجوز لنا أن نخجل من الاعتراف بما وقعنا فيه من الانحطاط، لأننا رضينا به، وأصبحت عقولنا المتشبعة بالأثرة لا هم لها إلا أغراضها الذاتية، أليس حظنا اليوم قد استحال لجمع الثروة بلا مبالاة بوجوه جمعها . . . والحصول على المجد بطريق الإغتيال لا

---

(١) قضية الألوهية ص ١٠٣، ١٠٢ وهو ناقل من كتاب الإسلام فى عصر العلم ص ٢٨١ للأستاذ محمد فريد وجدى .

(٢) قضية الألوهية ٢/ ١٠٤ .

(٣) راجع : الماركسية والإلحاد ص ٢٥٨ محمد عبدالله الخطيب ـ ط١، دار المنار، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

الكسب؟ والجمود، وعدم الإهتمام بالقوانين، إن من التناقض البين أن نرى أن من الرقى الذى حصل فى العلوم بما لا مثيل له فى التاريخ، وأن هذه الفتوحات المتوالية التى تمت للإنسان فى الطبيعة ـ بينما رفع هذا عقولنا إلى الدرجات العالية ـ أهبط إنسانيتنا إلى أخس الدركات ومن المحزن أن نحس بأنه بينما نشعر بنماء قوتنا يوماً بعد يوم ، تنطفئ حرارة قوتنا وتتصوح زهرة حياتنا القلبية بتأثير المطامع المادية والشهوات الجسدية »[1] .

إن الملاحدة قد حرموا أنفسهم من الدين، فلم يبق لهم أى وازع من خلق أو وازع من دين، أو مرشد من علم إلهى يرشدهم إلى الحق، نسوا غاية خلقهم ومبدأهم وقالوا: ﴿ **إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين** ﴾[2] ، فاعتقدوا بطبيعية هذه العقيدة وأن الإنسان ليس له غاية سوى التمتع بلذات الحياة والإنتفاع بالمادة، والعلو فى الأرض وبسط السيطرة عليها، واستعملوا العلم فى الحصول على مزيد من اللذات والشهوات، والتغلب على الناس وقهر المنافسين وأفتتنوا بالمكتشفات والمخترعات وتشاغلوا بها كشغل الصبيان باللعب[3] .

ويقول واحد منهم وهو « دزرائيلى »

« إن المجتمع فى عصره يعتقد أن الحضارة هى الراحة أما نحن فنعتقد أن الحضارة هى عبارة عن السرعة، فالسرعة هى إله الشباب العصرى، وأنه يضحى على نصبه بالهدوء والراحة والسلام والعطف

---

(١) قضية الألوهية ٢/ ١٠٤، ١٠٥ . (٢) المؤمنون الآية: ٣٧ .

(٣) راجع: ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين ؟ ص ٣٠٧ لأبى الحسن الندوى ـ مكتبة السنة ـ مصر ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠ م .

على الآخرين من غير رحمة[١] .

إن هؤلاء الناس فقدوا تعادل القـوة والأخلاق والتوازن بين العلم - بظاهر من الحيـاة الدنيا - والدين، فلم تزل القـوة والعلم ينموان على حساب الدين والأخلاق، ففى الوقت الذى ينموا فيه العلم، ينحط فيه المستوى الأخلاقى حتى بعدت الشقة بين العلم والأخلاق[٢] .

لقد خيل للإنسان أنه يمكنه الاستغناء عن الدين - تماماً وأن يعيش متـحرراً من أى تكاليف، بعـد أن فجر الصـخور وغاص فى أعـماق البحـار، وزاحم الكوكب والأقمـار، لكنه نسى أن للعلم اختـصـاصاً لايتـعـداه، ومـجـالاً لا يتـجـاوزه وذلك هو مـجـال المـاديات، والمـحسـوسات، وهى وحـدها التى يمكن التـحكم فيـها، وإجـراء التجارب عليها، واستخلاص النتائج منها وفى هذا الإطار يعمل العلم أما ما عدا ذلك مما وراء الحس، فليس من اختصاص العلم، إنما هو من اختصاص الوحى، فإذا قـال رجل العلم: إننى لا أجد دليلاً علمياً على وجود الله أو صدق الرسل . . . فنقول له :

قـد جاوزت حـدك، وخنت علمك، وورطته ورطة شـديدة، وهل وجدت فى مختبرك أن الله غير موجود !! ذلك أن العلم منهج صحيح لمعرفة المـادة، غير أنه منهج غير صحيح لمعـرفة ما وراء المادة، أنه يستطيع أن يـعرف سيـر الأشياء، لكنه لا يعـرف شيـئاً عن مسـيرها، ولماذا سيرها ؟

إن من يؤمن بالعلـم وحده وينكر مـا وراءه، لا يؤبه بكلامـه حـتى يقول: إنى أسـتطيع أن أفسـر العالم من ألفه إلى يـائه، فأما أن يفـسر الآلة، ولا يفسر مـحركها، ويفسـر الحياة، ولا يفسـر كيف وجدت، فهذا كقول الطفل: لا أعلم لأنه لا يريد أن يتعلم[٣] .

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٠٨ .   (٢) نفسه ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) الإيمان والحياة ص ٣٢٢، ٣٢٣ د. يوسف القرضاوى، يراجع: كتاب الله يتجلى فى عصر العلم لمجـموعة من العلمـاء الأمريكيين، كـتاب العلم يدعوا إلى الإيمـان لكريس موريسـون، وكـتاب الإسلام والحقائق العلمية لمحمود القاسمى وغيرها .

وقد سبق أن أوضحنا أن العلم الحقيقى يهدى الإنسان إلى الإيمان بالله . وبدا هذا واضحاً فى اعترافات كثير من العلماء، ذلك أن العلم لم يكن فى يوم من الأيام ضد الأيمان، ولا خصماً له بل هو دليل يهدى إليه[١] .

والآن لنا أن نسأل كم فى حياة الملحدين من ربح ؟ يستطيع الملحد أن يقول: أنه تعامل مع المحسوس، وضرب صفحاً عن التصورات والتخيلات وامتلأت دنياه بمحصول وفير وتمتع بالحياة، ويستطيع أن يقول أيضاً: أن الثراء والغنى فى يده، ويمكنه القول بأن الأمم التى تؤمن بالمادة هى التى تمسك بزمام العالم .

ونحن نقول له: على رسلك: إن العالم المادى قد عمرت دنياه على حساب إنسانيته، وقوى جسده على اغتيال روحه، ماذا ينفع الإنسان لو طعم ألذ المطعومات وسكن أفخم القصور، ولبس أجمل الثياب، وقلبه فارغ بارد؟ ومشاعره متبلدة صلدة، وصدره مملوء بالهم، وقلبه ممتلئ بالحقد والحسد والبغضاء ؟

لقد أباحت المادية للناس أن يردوا كل مورد، وأن يتمتعوا بكل ما يشتهون، ولو كان السم الزعاف الذى يمزق الأحشاء، وهكذا تسوى المادية حسابها مع نفسها .

من هنا كان منهج الإسلام هو التقاء المادة مع الروح، وكما أن الإنسان جسد وروح، كذلك ينبغى أن يكون منهجه فى الحياة مقدراً بحساب الجسد والروح .

---

(١) المراجع السابقة .

وليس ضبط هذا المنهج وتحديد ذلك المطلب بالأمر الهين، بل أنه أشق عمل يواجهه الإنسان فى حياته، إنها العملية الجراحية الدقيقة التى يتم فيها التزاوج بين طبيعتين مختلفتين تماماً، الروح والجسد النور والظلام، الإنسان والحيوان .

إنها مسألة تحتاج إلى حصافة وصبر وحكمة، وبغير هذا يفسد الأمر، ويشتد الصراع .

إن المزج بين الروح والجسد ليس له مقياس، إذ لا مقياس يمكن أن يضبط به الإنسان الكمية اللازمة من الجسد والكمية المطلوبة من الروح وذلك أنهما كيان واحد مزجتهما القدرة الآلهية التى خلقتهما، وزاوجت بينهما[1] ، ولا شك أن اتصال الروح يكمن فى إتصالها بخالقها، وإستمدادها النور منه حتى تسعد فى الدنيا والآخرة .

ومن هنا نجد أن الفصام الذى حدث فى الغرب جعل الإنسان ينكفئ على وجهه هائماً فى الأرض، باحثاً عن المتعة واللذة بلا هدى يعصمه من هذا السعار، وهذا السعار المحموم هو النتيجة الحتمية لهذا الفصام .

وحين لا يؤمن الإنسان بالله واليوم الآخر ولا يؤمن بهما الإيمان الجاد الذى يحكم حياته، فالنتيجة الحتمية هو ذلك التكالب الذى يدمر البشرية .

وهذا الإنفصام هو الذى أقام الإنقلاب الصناعى فى صورته المادية الخالصة، والتى لا ترعى قواعد الأخلاق، ولا قواعد الإنسانية. هذا

---

(١) قضية الألوهية ٢/ ١٠٥ وما بعدها .

الفصام أيضاً هو الذى جعل المرأة تخرج من وظيفتها الأولى، التى هيئت لها، تخرج للإغراء والفتنة حتى تحطم ما بقى فى الحياة من سمو ورفعة، وتجعل الإنسان يهبط إلى أسفل .

كما أن هذا الفصام مسخ صورة الإنسان وشوهها حين ابتعد عن منهج الله فى حياته، وأحل محله النظم البشرية، التى لا تملك مقياس الحكم الصحيح على الأشياء .

إن هذا الخلل الذى يحدث يوماً بعد يوم سببه أنه فقد معينه الأول الذى يصونه ويجدده على الدوام: معين الدين ... الصلة الحق بالله ... [1] .

(١) التطور والثبات ص٢٨٧ وما بعدها .

موقف المسلمين من الإلحاد

من المؤلم أن الإلحاد - بشتى أنواعه - قد تسلل إلى البلاد الإسلامية والعجيب حقاً: أن الملاحدة يحتجون لدعوتهم بأدلة زاعمين أنها أدلة علمية، كما فعل « جوليان هكسلى » حيث ألف كتاباً أسماه « الإنسان يقوم وحدة » .

وإذا كان الإلحاد عاهة تزرى بصاحبها فكيف إذا ظهر متحمس لها وداع إليها، وكيف إذا نما هذا الإلحاد وكثف جهوده، وأصبح يمد ظلماته فى أقطار الأرض. إن الإلحاد - كما نعلم - ثورة على الإيمان، يريد أن يقضى عليه، ويجتاح أهله ويسخر ممن يؤمنون بالله واليوم الآخر[١] .

لهذه الأسباب وغيرها لابد أن يكون للمسلمين - بصفة عامة - موقف ضد الإلحاد، وللمتخصصين فى العقيدة موقف خاص.

إن مهمة المسلمين - بصفة عامة - هى إعلان الحرب على هذا الإلحاد السافر الذى اكتوت الإنسانية بناره، وعم بلاءه، فدخل إلى المدارس والجامعات والبيوت، وشكك كثيراً من الناس فى دينهم، فارتموا فى أحضانه، وسخروا بالدين، وتفلتوا من كل ما ألزمهم به .

ومن هنا فإن الحاجة ماسة وملحة إلى إعداد الشباب المسلم وترتيبه على أمور ثلاث :

الأول : التربية الروحية .

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

الثانى : التربية النفسية .

الثالث: التربية على مناصرة الدين ورد الشبه المناوئة .

أما فى مجال التربية الروحية، فيجب صقل قلوب الشباب بالعقيدة، وتهذيب أرواحهم بالعبادة، وإرتقاء أنفسهم إلى معارج الكمال .

وأما التربية النفسية فهى على بناء النفوس على أسس متينة من الإيمان الراسخ، والإخلاص الصادق، وتوطين النفس على التوكل على الله، وبذلك يتحرر المؤمن من اليأس والعزلة والجزع، ويظل على هذا الخلق إلى أن يلقى الله عز وجل .

أما التربية على مناصرة الدين والدفاع عنه، فهى أن يتفاعل المسلم دائماً مع الأحداث المتجددة ويتابعها، ويقرأ آراء العلماء حولها، ويعرف رأى الدين منها، حتى يمكنه حماية نفسه وأسرته من الموجات الإباحية والغزو الفكرى والإنحلال الخلقى، وكل ما يبثه الإلحاد[١] .

ونحن نركز على فئة الشباب بصفة خاصة؛ لأن الجهد الذى يبذل فى تنشئة الشباب لن يضيع هباءاً، فالشباب سريع التأثر، وبه طاقات متجددة يجب أن تستغل قبل أن تهدر .

إن بعض المسلمين عوام يسهل تضليلهم بالمهاترات أو أنصاف متعلمين يسهل إغواءهم بالفلسفات العصرية الخداعة .

لقد طال نوم المسلمين، وامتدت غفلتهم عن الإنتباه إلى ما يدبره لهم الملاحدة وأصحاب الأفكار المنحرفة من كيد ومكر وخداع،

(١) يراجع كتاب الإسلام فى وجه الزحف الأحمر للشيخ محمد الغزالى .

حتى صحونا على هزات عنيفة، ومـوجات عاتية كادت تحطم الشباب فكرياً وعقدياً وخلقياً إلا من عصم الله[١] .

« إن الأمـة التى تحكم سـداد ثغـورها، وتؤمن حـدودها، وتبث عيونها فى كل مكان حرصاً على سلامـها وأمنها، لهى أمة أكثر وعياً، وأعمق نظراً، وأسلم عاقبة من أمـة لاهية، لا تفكر فى كيد عدوها إلا بعد أن يغزوها فى عقر دارها فيروع أمنها، ويبدد سلامها، فلا تصحوا إلا على أشلاء موتاها، ولا تملك إلا نعى حظها، ولوم نفسها، ولات ساعة مندم »[٢] .

واجب المتخصصين فى العقيدة :

من المعلوم أن الجهل يحـارب بالعلم، والنظام يحارب الفوضى، والعدل يحارب الظلم وهكذا .

والمحـارب لابد أن يكون مدرباً تدريبـاً خاصاً حـتى يمكنه دخول الميدان ومواجهـة خصمه. ومن هنا فإن على المتخـصصين فى مجال العقيدة أن يركزوا على الأفكار التى طرأت على الساحة .

هذه الأفكار تختلف فى شكلها ومضمونها عن الأفكار التى واجهها العلمـاء القـدامى، والحق يقـال: أن علماء الكـلام القدامى قـد أدوا دورهم فى الماضى، ولبـوا حاجة عصـرهم ودخلوا فى معارك عنيـفة دارت بينهم وبين خصومهم المناوئين للإسـلام، وذلك حين أحسوا أن

---

(١) يراجع: كتـاب الشباب المـسلم فى مواجهة التـحديات للأستـاذ عدنان ناصف طاحون، ويـراجع كتاب الفـراغ وأزمة التـدين عند الشبـاب المعـاصر للدكـتور عبدالعظيم المطعنى .

(٢) الفراغ وأزمة التدين عند الشباب المعاصر، ص ١ .

الخطر قد امتد إلى العقيدة الإسلامية وقضاياها الأساسية، تلك التى لو سقطت منها واحدة لسقطت العقيدة بكاملها .

وقد كان المتكلمون يتصدون للهجمات بطريقين: المناظرة والتأليف، وكانت المناظرة طريقة محببة لدى المتكلمين لما فيها من حيوية منهجية، ولما تؤديه من الهزيمة العقلية والنفسية عند الخصوم من جهة أخرى، وكان المعتزلة يشدون الرحال إلى الآفاق لمناظرة ملحد أو زنديق، وكانوا يتخذون من الأساليب ما يناسب المقام وكانوا على وعى كامل بهذا الأساليب .

والجهد الأكبر الذى بذله المتكلمون نجده يتعلق بقضية التوحيد على أساس أنها كبرى القضايا، وحقيقة الحقائق، وذلك لأنهم رأوا أن جهود المعارضين للعقيدة الإسلامية قد ركزت تركيزا شديدا على هذه القضية .

وإذا لم تتوافر الظروف للمناظرة، فإن المواجهة كانت تتخذ طريق التأليف، والردود المكتوبة، أو عقد فصول خاصة فى غضون الكتب ذات الأغراض الأخرى، ومن هذه التآليف :

كتاب « الألف مسألة للرد على المناويه » لواصل ابن عطاء، وكتاب « الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع » للقاسم بن إبراهيم، وكتاب « الإنتصار فى الرد على ابن الراوندى الملحد » للخياط المعتزلى، وكتاب « فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة » للغزالى[1] .

---

(١) انظر: مباحث منهجية فى الفكر الإسلامى ص ١٠٢ د. عبد المجيد عمر النجار ـ دار الغرب الإسلامى ـ ط١، ١٩٩٢ م .

وإذا كان علماء الكلام قد قاموا بدور المواجهة والمحاربة لكل من تسول له نفسه للطعن فى الدين أو المجاهرة بالكفر والدعوة إليه أو إنكار النبوة أو البعث ، فإن الضرورة ملحة أشد الإلحاح إلى أن تقوم الآن مواجهة لهذه الأخطار المحدقة التى تهدد العقيدة الإسلامية، ولا عجب إذا رأينا كثرة هائلة من الغرب قد جندوا أنفسهم فى الطعن فى الأديان بصفة عامة والدين الإسلامى بصفة خاصة، إرواء لأحقادهم، وبغضاً لهذا الدين، وكراهية لنبيه وأهله، وهذا التيار الجارف الذى يعادى الإسلام لم يصبح فى مكانه وإنما إجتاح ديار المسلمين شرقاً وغرباً .

وإذا كان الدفاع عن العقيدة فى القديم كان يأخذ طابعاً خاصاً يتمثل ـ غالباً ـ فى المناظرات والكتابات، فإن هذه الأساليب لا تكفى وحدها فى هذا العصر ولكن يجب أن يضاف إليها ما يلى :

١ ـ الأسلوب العلمى :

وذلك الأسلوب يعد من أنجح الأساليب لإقناع العقلية الحديثة، لما عليه هذه العقلية من الاعتداد بالعلم التجريبى وملاحظته ونتائجه .

وهذا الأسلوب يعتمد على اقتناء نتائج العلم التى توصل إليها بالتجارب .

وعلى سبيل المثال :

ـ علم الفلك : توصل بقوانين دقيقة أن سير الأجرام السماوية تدل على تدبير الصانع .

— علم الرياضة : بين بالقوانين الرياضية زيف نظرية الصدفة، التى تغنى بها كثير من الملاحدة .

— علم الأحياء : هدم نظرية النشوء والارتقاء التى قال بها داروين.

— علم الفيزياء : استعمل قانون الطاقة والحرارة فى الاستدلال على أن الكون ليس بأزلى وأنه مخلوق .

ولا يضير هذه القوانين أنها نسبية، ذلك أن حقائق العلم منها ما هو قطعى لا تخالفه التجارب والإكتشافات مثل دوران الأرض أو تركيب الماء من الاكسجين والهيدروجين بنسبة واحد إلى إثنين[1] .

أما القوانين النسبية فإنها إذا استعملت فى الاستدلال على قضايا العقيدة فلا ضرر فيها، لأن بطلان الدليل لا يؤذن ببطلان المدلول .

٢ — الأسلوب الفلسفى :

وذلك لمجابهة الاستدلالات الفلسفية التى يستعملها منكروا الدين باستخدام طرق تعتمد على المبادئ العقلية العامة، أو على القدر المشترك بين الناس فى المشاعر الفطرية المتعلقة بالغريزة أو الحس الإجتماعى .

مثال ذلك أن يستدل على ثبوت حقيقية البعث بأنه من اختراع عقلية الإنسان الباحثة عن عالم حر وعلى ظفره بعد الموت .

يقول البروفيسور « كنجهام » :

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣٠، ١٣١ .

« إن عقيدة الحياة بعد الموت » لا إدرية مغرضة، ومن الممكن اعتبار هذا القول خلاصة أفكار فلاسفتنا الملحدين المعاصرين، فهم يرون أن عقيدة الآخرة اخترعتها عقلية الإنسان الباحثة عن عالم حر، مستقل عن حدود هذا العالم وعن مشكلاته، مليء بالأفراح .... وفي رأيي أن هذا المطلب الإنساني - في حد ذاته - دليل نفسي قوى على وجود عالم آخر، كالظمأ فإنه يدل على الماء، وعلى علاقة خاصة باطنة بين الماء وبين الإنسان .

وهكذا فإن تطلع الإنسان - نفسياً - إلى عالم آخر دليل فى ذاته على أن شيئاً مثل ذلك موجود فى الحقيقة يدلنا التاريخ على وجود هذه الغريزة الإنسانية منذ أقدم العصور على مستوى الإنساني[1] .

وعلى كل: فإن هذين الأسلوبين يستلزم استعمالهما إطلاعاً كافياً على نتائج الفكر العلمي المتجدد، وللأسف فإن بعض المشتغلين بالعقيدة لا يعيرون هذه الجوانب أدنى اهتمام .

ولعمرى كيف يضيق الباحث المؤمن - ذرعاً - فى البرهنة على البدهيات التى لا تحتاج - بإجماع العقلاء - إلى براهين، وذلك أن هذه البدهيات قد انقلبت فى خيال كثير من الناس إلى نظريات تخضع للبحث والفكر والنقاش، مثل قضية وجود الله والنبوة، والمعاد وغيرها.

ألم يؤلف العلماء السابقون - ﷺ - المطولات والمختصرات فى ذلك الأدلة والبراهين العلمية على وجود الله، ورضوا أن ينزلوا بعقولهم إلى مستوى من قد يتخيل أن قضية وجود الله نظرية عويصة

---

(١) الإسلام يتحدى، ص ١٢٧ .

تحتاج إلى مقدمات وشروح، فنثروا هذه المقدمات وتلك الشروح، واستحضروا لذلك كل موازين الفكر العقلى، حتى لا يتورك مغرض يصطنع الشبه اصطناعاً [١] .

ولولا أولئك المغرضون والمخرفون لوسع المسلمين ما وسع الصحابة - رضوان الله تعالى - عليهم .

وها هو الزمن يمضى بنا فنجد شبهاً من نوع جديد، وإن كان واضحاً كل الوضوح أنها تمت إلى الشبه القديمة بنسب حميم، ذلك أنهما ينحدران من أم واحدة[٢] .

ومن هنا فإن على المتخصصين فى مجال العقيدة مواكبة كل التطورات الخطيرة وذلك لا يكون إلا بمواجهة الإلحاد المعاصر بالأدلة العلمية الجديدة التى تبطل شبهه، وتكشف زيغه.

يقول أحد الباحثين :

« إن المعركة بين قوى الإلحاد والإيمان لم تنته بين المسلمين وأعدائهم كما يظن البعض بإنتهاء حدة المواجهة التى صاحبت انتشار الإسلام .

فإن أعداء الإسلام يتشكلون كل يوم ويشكلون أساليبهم وأسلحتهم ويستترون ويسترون أغراضهم، ويغلفونها بكل الحيل للكيد للإسلام، وإذا كانت الضرورة لمجابهة أعداء العقيدة فى الماضى هى التى اقتضت الكتابة، ومجابهة الجدل، ومقارعة الحجة بالحجة، فإن الضرورة اليوم أشد إلى الكتابة وكشف ومجابهة حيل الأعداء[٣] .

---

(١) مباحث فى منهجية الفكر الإسلامى .

(٢) راجع: كبرى اليقينيات الكونية، ص٢١ وما بعدها .

(٣) دراسات فى علم الكلام والعقيدة، ص٣، د. جميل أبو العلا، ص ٢ - ط قاصد خير - القاهرة، ١٩٨٤ .

الخاتمة

من خلال هذا البحث المواضع يتبين لنا ما يلى :

إن الإلحاد لا يوجد إلا عند أناس مضلين، أو مقلدين متعصبين أو مجرمين شهوانيين، أو مستكبرين مغرورين بنزر يسير درسوه من ظواهر الكون فظنوا أنهم عرفوا كثيراً، وجهلوا أنهم ما غمسوا أكفهم بعد فى نهر صغير .

كما يتبين لنا أن الكفر بالله وإنكار وجوده ليس إلا تهرباً من الفضيلة والحق والخير . . وذلك لتبرير الرذيلة وإشاعة الفساد، وقلب الحقائق، وإرضاء الشهوات والأغراض .

إن أذكى ملحد فى الدنيا إلى الآن لم يأتى بدليل واحد مقنع يدل على عدم وجود الخالق - سبحانه وتعالى - أو كما يقول الفيلسوف «أندروكوفواى إيفى» :

« ويظهر أن الملحدين والمنكرين بما لديهم من شك، لديهم بقعة عمياء أو بقعة داخل عقولهم، تمنعهم من تصور أن هذه العوالم - سواء ما كان منها حياً أو ميتاً - تصير لا معنى لها بدون الاعتقاد بوجود الله. وكما قال اينشتين: « إن الشخص الذى يعتبر حياته وحياة غيره من المخلوقات عديمة المعنى، ليس تعيساً فحسب، ولكنه غير مؤهل للحياة .

ما هو شعور أكبر ملحد فى هذه الحياة إذا داهمته الأحزان والهموم، وصدمته المخاطر، فلم يجد سبباً مادياً ينقذه، أفلا يفيق من نومه فينادى: أيتها القوة المهيمنة على الكون أسعفينى .

إنهم ينادون الله بعد إلحادهم، ويلتمسون عونه ومدده، والحق ـ سبحانه وتعالى ـ يقدم لهم الدليل تلو الدليل على وجوده وقدرته استجابة لدعوة المضطر، حتى إذا وصلوا إلى شاطئ الأمان يعودون إلى سيرتهم الأولى ويكفرون به، تلك هى نفوسهم الخربة التى لم تلحد بالله ـ تعالى ـ لأنها لم تجد الدليل ولكنها ألحدت لترضى غرورها واستكبارها، فهى لا تذعن لله إلا فى الشدائد فإذا أنعم عليها كفرت بأنعمه »[1] .

إن الملاحدة لو رجعوا إلى أنفسهم، ومع شئ قليل من العقل لوجدوا أنهم على غير الجادة، وأنهم ليسوا طبيعيين، وأن الطريق الذى ركبوه لن تثبت عليه أقدامهم، ذلك أنهم عما قليل ستهزم أجسادهم الهزيلة أمام الروح الكامن فيهم، وأنهم سيسقطون مرضى فى غاية الضعف .

إقرأ قائمة المنتحرين فى أى مكان، وابحث عن حياة كل واحد من هؤلاء تجدهم جميعاً آمنوا بالمادة وكفروا بالله[2] .

إن الإنسان قد يضل فى متاهات الحياة، وقد تصادفه آلام فى هذه الحياة، وعثرات فى طريقه جديرة بأن تحطمه وتقضى عليه، أو تملأ قلبه سخطاً ونقمة على الحياة، وهذا شأن الإنسان الذى يعيش بلا دين، إنه يلتقى مع الحياة وحيداً لا معين له ولا سند .

أما صاحب الدين الحق فإنه يرضى بما قدر الله فيمتلئ قلبه

---

(١) العقيدة وأسسها ص ١٠٧ .

(٢) قضية الألوهية، ص ٨٧ .

بالسكينة والطمأنينة، لأنه يعلم أن الله ـ تعالى ـ لا يريد له إلا الخير ولو كان فى ظاهره شراً ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾[١] .

إن الملحدين إذا رجع أحدهم إلى صوابه، ودخل دين الله، دخل فيه بكل كيانه وأعطاه ولاءه، وكأنه بهذا يؤدى الدين الماضى الذى ضيعه وأهدره[٢] .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

---

(١) البقرة الآية: ٣١٦ .

(٢) قضية الألوهية، ص ١٧ .

فهرس بأهم المراجع

١) القرآن الكريم .

٢) الله يتجلى فى عصر العلم ـ نخبة من العلماء الأمريكين ـ ترجمة د. الدمرداش سرحان ـ ط مؤسسة الحلبى ـ مصر ١٩٦٨ .

٣) « الله » للأستاذ محمود عباس العقاد ـ ط دار المعارف ـ مصر ـ بدون تاريخ .

٤) الله جل جلاله للأستاذ سعيد حوى ـ ط ٣ ـ دار الطباعة الحديثة ـ مصر ـ ١٩٨٧ م .

٥) الإسلام والحضارات الإنسانية للأستاذ عباس محمود العقاد ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ بدون تاريخ .

٦) الإسلام يتحدى للأستاذ وحيد الدين خان ـ ط ٧ ـ دار المختار الإسلامى ـ ١٩٧٧ م .

٧) الإيمان والحياة ـ د . يوسف القرضاوى ـ مكتبة وهبه ـ ط ٩ ـ ١٩٩٠ م . مصر .

٨) الإيمان بالله فى ضوء العلم والعقل ـ محمد رشدى عبيد ـ ط ١ ـ دار القادرى ـ ١٩٩٢ م .

٩) ا لإعجاز الطبى فى القرآن ـ دكتور السيد الجميلى ـ دار النصر بيروت ـ بدون تاريخ .

١٠) أصول الدين للإمام عبدالقاهر البغدادى ـ مطبعة الدولة ـ إستانبول ـ ١٣٤٦ هـ .

١١) أصـول الدين الإسـلامى ـ د. قـحطان الدورى، د. رشـدى عليان ـ ط ١ ـ ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م .

١٢) أبكار الأفكار للإمام سـيف الدين الأمدى ـ رسـالة مخطوطة بكلية أصول الدين بالقاهرة ـ دراسة وتحقيق د . أحمد المهدى .

١٣) توبة الملحـدين ـ هندى مـحـمد الشـريف ـ وزارة الأوقـاف والشئون والمقدسات الإسلامية ـ الأردن ـ ١٩٩٣ م .

١٤) التفسير الوسيط ـ دكتـور محمد سيد طنطاوى ـ ط٣ ـ ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩ م .

١٥) التطور والثبات فـى حياة البشرية ـ مـحمد قطب ـ ط ٩ ـ دار الشروق ـ ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م .

١٦) تفسير الكشاف للإمام الزنخشرى ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ ١٣٥٤ هـ .

١٧) الدين ـ د. محمـد عبدالله دراز ـ دار القلم ـ الكويت ـ بدون تاريخ .

١٨) دراسات فى علم الكلام والعقيدة ـ د. جميل أبو العلا ـ ط١ ـ قاصد خير ـ القاهرة ـ ١٩٨٤ م .

١٩) الشباب المسلم فى مواجهة التحديات ـ عبدالله ناصف طاحون ـ ط١ ـ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ـ ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م ـ مصر .

٢٠) الطب فى محراب الإيمـان ـ د. خالص كنجو ـ ١٣٩١ هـ ـ

١٩٧١ م. ـ دمشق .

٢١) الطب الإسلامي ـ العقلي ـ النفسي ـ الجسمي ـ د. محي الدين طالو الحلبي ـ ط ١ ـ دار ابن كثير ـ دمشق ـ ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م .

٢٢) العقائد الخيرية ـ محمد وهبي خادمي ـ دار إحياء الكتب العربية ـ مصر ـ بدون تاريخ .

٢٣) عقيدة المسلم الشيخ محمد الغزالي ـ ط ٢ ـ دار الدعوة ـ مصر ـ ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م .

٢٤) عقيدتنا ـ د. محمد ربيع الجوهري ـ ط ٤ ـ مصر ـ ١٩٨٩م.

٢٥) العلم يدعو إلى الإيمان ـ كريس موريسون ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٩٤ م .

٢٦) العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث ـ د. سعد الدين صالح ـ ط ٢ ـ دار الصفا ـ مصر ـ ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م .

٢٧) العقيدة الإسلامية وأسسها ـ عبدالرحمن حسن حبنكه ـ ط٧ ـ دار القلم ـ دمشق ـ ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م .

٢٨) الفراغ وأزمة التدين عند الشباب المعاصر (الداء والدواء) دكتور عبدالعظيم المطعني ـ ط١ ـ دار الأنصار ـ مصر ـ ١٩٧٨ م .

٢٩) في نور العقيدة الإسلامية ـ دكتور محمد سيد أحمد المسير ـ ط ١ ـ ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م ـ مصر ـ دار الطباعة المحمدية .

٣٠) قضية الألوهية بين الفلسفة والدين ـ دكتور عبدالكريم الخطيب

- دار الفكر العربى - ١٩٦٢ م .

٣١) كبرى اليقنيات الكونية - دكتور محمد سعيد رمضان البوطى - ط ٨ - دار الفكر المعاصر - بيروت - ١٩٨٢ م .

٣٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - دكتور أبو الحسن الندى - مكتبة السنة - مصر - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ .

٣٣) الماركسية والإلحاد - محمد عبدالله الخطيب - ط١ - دار النار - مصر - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

٣٤) مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم - ط رئاسة الإفتاء بالمملكة العربية السعودية - الرياض .

٣٥) مباحث منهجية فى الفكر الإسلامى - دكتور عبدالمجيد النجار - دار الغرب الإسلامى - ١٩٩٢ م .

٣٦) المنقذ من الضلال للإمام أبى حامد الغزالى - تقديم الدكتور عبدالحليم محمود - دار الكتب الحديثة - مصر - بدون تاريخ .

٣٧) نظرات فى العقيدة الإسلامية - دكتور محمد الأنور حامد عيسى - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .

٣٨) الوجودية فلسفة الوهم الإنسانى - دكتور محمد إبراهيم الفيومى - ط مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة - ١٩٨٤ م .

٣٩) وجود الله - دكتور يوسف القرضاوى - ط ٣ مكتبة وهبة - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

فهرس الكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية
٩٩٠٠ / ١٩٩٨
تحريرا فى ١٦ / ١٩٩٨/٧